مؤسسة مهجة القدس
MUHJAT ALQUDS FOUNDATION

فكر وأدب السجون

الإصـــدار الأول

إن إبراهيم كان أمة

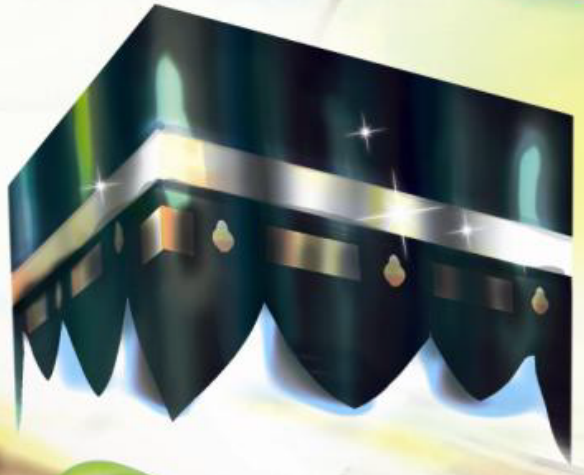

جمعة عبدالله النّايه

سجن عسقلان

الكتـــاب: سلسلـــة فكـــر و أدب السجـــون (1)
"إن إبراهيـــم كـــان أمـــة"
المـــؤلف: الأسيـــر المجاهـــد/ جمعـــة عبـــد الله التَّايـــه
الناشـــر: مؤسســـة مهجـــة القـــدس
غـــزة – فلسطيـــن
الطبعـــة: الأولـــى
سنة النشر: جمادي الأول 1432هـ / أبريل – نيسان 2011م

الكتب و الدراسات التي تصدرها المؤسسة تعبر عن آراء واجتهادات مؤلفيها
حقـــوق الطبـــع و النشـــر محفوظـــة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

[النحل: 120]

إهــداء..

☜ إلى روح الرسول الحبيب ﷺ (محمد).. قدوة العالمين جميعا.

☜ إلى روح الشهيد المفكر الدكتور فتحي الشقاقي.. الذي علمنا كيف نصبر ونجاهد ونجدد.

☜ إلى روح والدي.. الذي حبب إلي طلب العلم.

☜ إلى روح والدتي الغالية..التي لم تظفر برؤيتي، فقد رحلت وأنا مازلت أعيش محنة الأسر.

☜ إلى كل الإخوة المجاهدين الأحرار وعلى رأسهم الدكتور رمضان شلَّح أمين عام حركة الجهاد الإسلامي.. الذين ما زالوا يواصلون جهادهم ويساهمون في ضبط البوصلة التي يحاول الكثير حرفها عن مسارها الصحيح (القدس).

☜ إلى زوجتي الصابرة.. التي تقف معي وتشجعني وتشحذ همتي.

☜ إلى ولديّ العزيزين أسامة ونصر الله.. عسى أن يكون هذا الجهد جزءا من الميراث الذي أتركه لهما.

☜ إلى كل هؤلاء وإلى مجموع الأسرى الأحرار.. أهدي هذا الجهد المتواضع آملاً أن يكون في ميزان الحسنات.

مُقَدِّمَة

لقد أردت في هذا الكتيب أو هذه الدراسة المتواضعة أن أُساهم ولو بشكل بسيط في ترسيخ بعض الأفكار والقيم الإسلامية التي جسدها **إبراهيم** عليه السلام، ولا أدعي أنني شملتُ أو أحطتُ الدراسة من كل الجوانب؛ لأن رسالة **إبراهيم** عليه السلام شاملة شمول الرسالة المحمدية، وواسعة وسع الأرض والعالم، لكنني ربما أضأتُ بعض الومضات الجميلة وبعض اللفتات التي تؤسس لفهم صحيح لشخصية **إبراهيم** عليه السلام التي هي **(أمّة)** كما وصفها القرآن الكريم. لذلك _وبلا شك_ لا تخلو هذه الرسالة من نقد وأخذٍ ورَدّ وتعليق وزيادة واستكمال، فكلما تلاحقت الأفكار تصوب الرأي وازدانت المسيرة.

فالذي حدثنا عن **إبراهيم** عليه السلام هو الله تبارك وتعالى، والذي وصف **إبراهيم** عليه السلام بأنه **(أُمَّة)** وأنه **(إمام)** وأنه **(قدوة)**، وأن **(أواهٌ حليم)** وأنه **(صديقاً نبياً)** أيضاً هو الله تعالى.. وهذا يعني أننا يجب أن نقتدي به، وأن تتمثل فينا شخصيته وقيمه وأخلاقه.

وربما تكون شخصيته عليه السلام قد مثلت **(أمّة)** وتحركت في العالم بانتظام، وانطلقت من قواعد واستراتيجيات، وهي المصطلحات العامة

كالناس والملة والمسلمين.. واستخدمت الوسائل وهي الأخلاق والقيم الإسلامية، الأرضية التوحيدية، فلا بد أن تكون تلك الثمار والتي تجلت أهمها في عالمية الرسالة الإبراهيمية وشموليتها وجذريتها، وهكذا كان **إبراهيم** عليه السلام **(أُمّة)** في رحمته وشفقته وحلمه وكرمه ووفاءه وعلمه.

وكان **(أُمّة)** بانحيازه الكامل لله، وبخروجه من حظوظ نفسه، وخروجه من هذه **(الأنا)** إلى **(الأمة)**، فلم يعمل لذاته ولا لشخصه ولا لأهل بيته، إنما للناس جميعاً، كان قلبه من الاتساع ما يستوعب **(الأمة)**، وعقله من الانفتاح ما يجعله يرى ويدعو كل الناس.

وكان الدين والوحدة والتوحيد والإنسانية تتجسد في شخصيته عليه السلام، إن جوهر الدين الإسلامي هو أن تخدم الخلق وتخرج من ذاتك وحظوظ نفسك، وقد مثل **إبراهيم** عليه السلام جوهر الدين.

ونحن في هذا العصر الذي نسير فيه من **(الجماعة)** إلى **(الأنا)** ومن **(الأمة)** إلى **(الحزب)** و**(الفردية)**، ومن **(الدين)** إلى **(الرأي السياسي)** أو **(الفقهي)**، ومن **(العام)** إلى **(الخاص)**، سنظل بحاجة دائمة للاقتداء بشخصية **إبراهيم** عليه السلام بدعوته وطروحاته وتحدياته وصموده وأخلاقه وجهاده وشهادته على الناس، لنخرج من ذواتنا ويُمثل كل منا **(أمّة)** في عطائه وطاقته ومبدأيته وجهاده، وبذلك نكسب قلوب الناس، فالناس تقاد وتحب من يُحسن إليها ويخدمها.

يجب أن لا يقبل الإنسان أن يكون عادياً على الهامش لا قيمة له، يجب أن يطمح الإنسان لأن يكون إبراهيمياً، أن يكون أول المسلمين وأول

المؤمنين، أن يكون مميزاً واستثنائياً، أن يكون إماماً، بل **(أمّة)** في شخص.

فربما إذا ترسخت هذه الفكرة في عقولنا نستطيع السير بخطوات واثقة دون يأس ودون قنوط وتراجع، فالنهضة والتغيير لا يُمكن أن تتحقق لنا إلا إذا بدأ كل منا يعمل ويطمح أن يكون **(أمّة)**.

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. [النحل: 120]

توطئـة

الحمد لله رب العالمين، والـصلاة والـسلام علـى خـاتم الأنبيـاء والمرسلين، سيدنا محمد الرسول الأمين، وقائد الغر المحجلين، وعلـى آله وصحبه أجمعين، والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

لقد كان الأنبياء _عليهم الصلاة والسلام_ وعلى مر التاريخ يُمثلـون تلك الثُلة المختارة، التي اختارها الله تعـالى مـن أجـل هدايـة النـاس، وتصحيح ما اعوج من أفكارهم وسلوكهم وأساليب حياتهم وكان رُسُلُ الله كذلك؛ يبعثهم كي يُعرّفوا الناس على الله، من خلال إقامة الحُجة الدامغـة في كُل الميادين، ومن خلال القدوة التي يُترجمونها بـصبرهم ودعـوتهم وجهادهم الكبير.

فالأنبياء هم الصورة الحقيقية الجميلة.. الواضحة والمضيئة التي مثّلت الإسلام **(التوحيد)** والأخلاق الحميدة وخدمة العباد.

فكانوا عِبر آلاف السنين نموذجاً لكل البشرية، بما فيها مـن حركـاتٍ وأحزابٍ وجماعات ودولٍ وحضاراتٍ وأقوامٍ وشُعوب.

ومع تقدم الزمن، ومرور السنين وتقدّم البشرية وتطَوّر العلـم، يظـل الناس بحاجة لرسالة الأنبياء وتجاربهم، لأنها بمجملهـا كُـل الخطـوط

والمناهج والوسائل التي تُستخدم للتغيير ولراحة الناس.. وقد لخص كتاب الله العزيز **(القرآن الكريم)** بعض تجارب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.. فإذا تدبرنا كتاب الله العظيم فإنه يفيض علينا من صفاء مائه العذب.. ومن أريج عطره الفواح، بحيث لا نحتاج لغيره من (الدساتير) والكتب الأخرى.

فالقرآن ينقلنا إلى عُمق التاريخ، منذ آدم عليه السلام وتجربته في الجنة، ونزوله إلى الأرض، وقد زوده الله تعالى بالمنهج **(افعل أو لا تفعل)**، ويمر بنا إلى نوح عليه السلام، ولوط وشعيب وإبراهيم وعيسى وموسى _عليهم السلام_، وينتهي بنا إلى خاتم الأنبياء والمرسلين؛ محمد ﷺ وعلى الأنبياء جميعاً، ولكن هذه النقلة وهذا المرور لا يكون كلمح البصر، دون الوقوف والاعتبار ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ [يوسف : 111]

إنها نقلة نوعية تغييرية، بحيث تعيش ذلك الماضي وكأنك تعيش الحاضر، مُستشرفاً المستقبل، تعيش مع الأنبياء وكأنهم يُرشدونك الآن، ويُوجهونك وتتربى في أحضان مدارسهم الربانية العظيمة.. كيف لا!! والله تعالى هو الذي يُحدثنا عنهم.. فكلماته لا تنفد بل باقية.. باقية بفعلها وتأثيرها وإصلاحها للنفوس والعقول والواقع.

فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام بُعثوا عبر آلاف السنين، أي استمر إرسالهم آلاف السنين تترى، وعلى مراحل، وختم الرسل بمحمد ﷺ وتَرك لنا القرآن الذي فيه خبر الأولين والآخرين، واستمرت الحياة

البشرية.. وستستمر ربما آلاف السنين أو ملايين السنين دون أنبياء، وهذا الأمر يجعلنا نقول إن مرحلة بعث الأنبياء كانت لا بد منها لتربية البشرية، والبشرية ربما كانت وقتها في مرحلة الطفولة تحتاج لهذا الكم الكبير من الأنبياء حتى يتم دمج العقل البشري في رسالة التوحيد، إذ أن الأنبياء جميعاً دعوا لعقيدة التوحيد.. وكان الله عز وجل قد ربّى البشرية في مرحلة على قدرة الاعتماد على النفس في الجانب الديني والعبادي ثم تركهم ومعهم القرآن الكريم الذي يحتوي تلك الثمار العظيمة والفريدة والمتنوعة.

فالأنبياء كانوا معصومين رَغم أنهم كانوا بشراً.. معصومين في تبليغ الرسالة؛ فكلما أُمروا ونفذوا، ووقفوا عند الله تبارك وتعالى وحدوده.. كانوا بشرا لكنهم مَثّلوا قمة الكمال البشري، وقمة الأخلاق الإنسانية.. فهم أصفياء الله من خلقه ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾ [الأعراف: 144]، وهم الذين بُعثوا ليكونوا مشاعل هداية.. لا أن يكونوا ملوكاً أو جُباة أو مُسيطرين أو جبارين.

قال عليه الصلاة والسلام: (إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر) {رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرمِذِيُّ} أي ورثنا هذا العلم الديني، العلم بالله وبالكون عن طريق توحيد الله وتعظيمه وتقديسه.

فقد عمل الأنبياء على تغيير واقع الناس والأقوام السياسي والاجتماعي والنفسي والاقتصادي على أساس توحيد الله عز وجل، ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾. [البقرة: 138]

فمهمة الأنبياء أن يربطوا بين الناس وربهم الذي خلقهم، وأن يصبغوا حياتهم باللون الذي يريده الله تعالى، فالأنبياء هم أصحاب المشروع الإسلامي الأصيل والأول، وكل من يأتي بعدهم هو تبع لهم.. ويظل بحاجة لصفاتهم وأخلاقهم وتفانيهم وقوة صبرهم والتزامهم وإخلاصهم وتجردهم وانحيازهم لله عز وجل، ولمنهجه العظيم السليم.

المبحث الأول
صفات الأنبياء المشتركة

من المعروف لدى المسلمين الموحدين أن الأنبياء معصومين، ليس فقط في تبليغ الرسالة.. وإنما أيضاً من الانزلاق في المعاصي والانحرافات.. لأن الله تعالى لا يُمكن أن يُرسل للناس نبياً أو رسولاً يعمل المعاصي والذنوب، وإنما يُرسل النبي أو الرسول ليكون قُدوة للناس في كُل شيء.. فالله تعالى أرسل للناس رُسُلاً من أرقى وأعف وأطهر البشر؛ كي يقتدي الناس بهم، وإلا لكان التناقض والاضطراب والانحراف، إذ كيف يقتدي الناس برجلٍ غير مستقيم، ويدعي أنه مبعوث من قِبل رب العالمين!!

لذلك لم نسمع ولم نقرأ أن نبياً من الأنبياء شرب الخمر أو سرق أو زنى أو أشرك أو تآمر أو عمل لشخصه أو تحكّم بالناس على هواه، ولم ولن يكون هذا من أخلاق الأنبياء؛ لأنهم _إن جاز التعبير_ أرقى صناعة ربانية من سائر البشر، هم أخلص البشر وأصفاهم وأطهرهم وأعلمهم.. هم أئمة الناس في الخير.. فلا يُعقل أن يكون نبياً منحرفاً لأنه حينئذٍ لن يقتدي به أحد، وقد ناقش القرآن هذه المسألة، قال تعالى مُخاطباً عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ

إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾ [المائدة: 116]، وفي آية أخرى: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ [المائدة:117].

كذلك الأنبياء معصومون من العاهات والخلل الجسمي أو النفسي أو العقلي، بمعنى أنه لا يُمكن أن يكون هناك نبيّ أعمى أو أصم أو أبكم لا يستطيع الكلام أو في نُطقهِ خلل؛ لأنه مُبلغ عن ربه تبارك وتعالى، فيجب أن يكون سليماً جسمياً، لا يكون أعرج أو أكتم أو قبيح المنظر، بل شكله ومنظره جميل، بل من أجمل الناس أو أجملهم، فهو مألوفٌ يُحبه من يراه و يسمع له ويُعجب به، وهذا كان واضحاً في شخصية كُل نبي بعثه الله تعالى للناس، وخاصة يوسف عليه السلام وسيدنا محمد ﷺ.

وأيضاً الأنبياء معصومون من الخلل العقلي، مثل قلة الذكاء أو قلة الاستيعاب أو الخمول أو الخبل، فقد كانوا أشد ما يكون الأذكياء والمفكرين والعلماء والفقهاء، فقد جهزت عقولهم على حمل هذه الدعوة والعمل لها على مدار الساعات والأيام والسنين، فلا مكان عند الأنبياء للسفه أو الطيش والهوى والتسرع وقلة الحكمة.

بقي أن نذكر تحت هذا العنوان أن الأنبياء جميعاً كانوا يعيشون في وسط اجتماعي نظيف، بمعنى أن أم النبي أو أخته أو ابنته أو إخوانه كانوا عفيفين، لم يعهد عليهم انحراف ما، لأن هذا يتناقض مع شخصية النبي الذي بُعث للناس، كي لا يُعايره أحد؛ ولا يتشفى به أو يُزايد عليه

أحد، حتى لا يُقال له: اذهب وأصلح أهلك!!! فالله عز وجل عصم الأنبياء في محيطهم الاجتماعي لأنهم سفراء إلى الناس.

فنحن في عالمنا، إذا أردنا أن ننتخب من يمثل حزباً أو دولة أو مدينة أمام دولة أخرى فإننا بلا شك سنختار الأذكى والأكثر وعياً وتجربة، والأنقى سيرة وتاريخاً، فمن باب أولى أن يكون ذلك في حق الله تبارك وتعالى أن يبعث لنا رسلاً معصومين في الرسالة والجسم والعقل والنفس والمحيط الاجتماعي وعدم اقتراف المعاصي والذنوب، وبهذا يكون الفلاسفة والعلماء والمفكرون والأذكياء والمغيرون كلهم تلاميذ وعالة على الأنبياء والرسل، وفي كل الميادين، وهذا لا يُدركه إلا من تبحر في علوم القرآن والتفسير، وقصص الأنبياء وتاريخهم، والشواهد في ذلك أن قصص الأنبياء ما هي إلا دروس وعبر وشواهد من أعمق وأشمل ما جرّبته البشرية كماً ونوعاً، فكانوا بحق مصابيح الدجى، وقد أناروا الطريق لتصحيح مسار البشرية وعقلها الذي عانى حالة التشويش والعناد، وخاصة في أخطر قضية.. قضية **(التوحيد)**.

المبحث الثاني
تنوع الجوانب الدعوية للأنبياء

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الإسراء: 55]، **وقال تعالى:** ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: 253].

من الأنبياء من كلم الله كموسى عليه السلام، ومنهم من آتاه الله الملك الكبير مثل سليمان عليه السلام، ومنهم من جعله خليفة في الأرض وحاكماً مثل داود عليه السلام، ومنهم من بعثه للعالمين بدلاً من أن يبعث لقوم فقط مثل محمد ﷺ، فعدد الأنبياء في بعض الروايات وصل إلى مئة وخمسة وعشرون ألف نبي.. وهؤلاء تنوعت وتعددت مهماتهم حسب الواقع الاجتماعي والجغرافي والإنساني.. وبذلك تعددت الأساليب والوسائل في الدعوة إلى الله تعالى، فكانت الدعوة بالحسنى والجدال بالتي هي أحسن بالمناظرة، وكانت المواجهة المسلحة وأحياناً أخرى كان استعمال المحاجة الفكرية والعلمية، وأحياناً كانت أساليب الترغيب والترهيب وإقامة الدليل الدامغ على باطل الأقوام.

وهكذا تنوعت الأساليب والوسائل، وكذلك تنوعت أساليب المعارضة والتعذيب والتكذيب من قِبل الأعداء، فسُجن بعضهم وقُتل البعض وشُرّد

آخرون، فكان أولي العزم من الرسل، وكان من يوحى إليه برسالة جديدة، وكان من يأتي منهم مكملاً لرسالة من سبقه.. ولذلك يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الإسراء: 55]، "**تفضيل تنوّع**" في المهمات والأساليب والشمول في الرسالة.. "**تفضيل اختيار**" فقد اختار الله تعالى **إبراهيم** عليه السلام أن يرفع قواعد البيت الحرام.

وقد برز **إبراهيم** عليه السلام في القرآن كأب الأنبياء، وأقرب ما يكون من رسالة محمد عليه السلام، بل هو الأصل في ذلك.. ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج: 78].

ولذلكَ وُصف سيدنا **إبراهيم** بأنه **(أمة)** في دعوته وفي سلوكه وأخلاقه وأساليب دعوته المتنوعة والمتعددة، وكذلك هو أمة في إنجازاته.. وهمته وديمومة حركته ورسالته.

وسيأتي _بإذن الله_ الحديث عن سيدنا **إبراهيم** عليه السلام بشكل أكثر تفصيلاً.. فهذه الدراسة كانت من أجل دراسة بعض الأفكار حول شخصية **إبراهيم** عليه السلام، والوقوف عند بعض المواقف الجميلة التي فيها العبرة، من أجل الاقتداء واقتفاء الأثر، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [الممتحنة: 4].

المبحث الثالث

لكل نبي قضية مركزية

صحيح أن جميع الأنبياء والرسل دعوا إلى عقيدة التوحيد، وأن لهذا الكون خالقاً عظيماً، ومدبّراً قادراً حكيماً، وأن مَرَدّ الخلق كلهم إلى الله، وخاصة الإنسان الذي جعله الله تعالى خليفة في الأرض، ورغم ذلك فقد كان لكل نبي قضية مركزية ينطلق منها، ويبدأ من عندها، ويجعلها محط اهتمام دعوته وتفكيره، لكن على أساس **(لا إله إلا الله)**.

فمنهم من كانت قضيته المركزية "**سياسية**" مثل **موسى** عليه السلام، نراه في القرآن يُجادل فرعون ويُناظره، فيُهدده، ويُحاول قتله، ويُطارَد موسى ويُلاحق من قِبل هذا الطاغية المستبد، وكل عمل موسى عليه السلام كان من أجل إنقاذ بني إسرائيل من ظلم فرعون وملئه واستبداده السياسي، فقد قال فرعون: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: 24]، ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: 29]، ﴿إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: 26]، فموسى في القرآن دائماً خائف يترقب، مُلاحق، يخرج متخفياً، ثم يعود مع هارون إلى فرعون، فقضية موسى عليه السلام

قضية سياسية، ولكن أُمرَ موسى عليه السلام أن يُغير هذا الواقع على أساس **(لا إله إلا الله)**.

ومنهم من كانت قضيته المركزية "**اقتصادية**" مثل **شُعيب** عليه السلام، في القرآن، فأينما ذُكر ذكر معه الأمر بالعدل والقسط وعدم التبخيس في الميزان، ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ [الشعراء: 181]، ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ [الإسراء: 35]، ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [هود: 85].

فيبدأ شُعيب عليه السلام من هنا، من قضية التطفيف وبخس الناس أشياءهم، لأنها كانت الظاهرة المنتشرة بين الناس آنذاك، ولكن التحرك ومُحاولة التغيير وإنكار هذه الأفعال على أساس التوحيد **(لا إله إلا الله)**.

ومنهم من كانت قضيته "**اجتماعية**"، مثل قضية سيدنا **لوط** عليه السلام، حيث جاء ووجد قومه يُمارسون الشذوذ الجنسي، ويدعون ما خلق الله تعالى لهم من النساء.. وهذه الظاهرة كانت غريبة إذ لم تكن حالة فردية بل كانت ظاهرة جماعية، ولذلك كان الخسف الكبير، بحيث جعل الله تعالى عاليها سافلها..

فبدأ لوط عليه السلام من هذه القضية، وكرّس لها جُلّ اهتمامه ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: 165]، ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ [هود: 78]، لكن أيضاً هذه الدعوة كانت على أساس **(لا إله إلا الله)**.

وخاتم النبيين محمد ﷺ، صحيح أن رسالته **شاملة ومُهيمنة على الرسالات الأخرى**، لكنه عليه السلام أول ما بدأ بقضية العقيدة، وإخلاص العبادة لله، وعدم الإشراك به، ثلاثة عشر عاماً والقرآن ينزل في مكة يُصحح للناس العقائد الفاسدة التي سادت المجتمع، مثل عبادة الأصنام، والشرك بالله والطيرة ...إلخ، وعندما رسخت العقيدة في عقول الصحابة وقلوبهم؛ نزلت آيات التشريع في المعاملات والجهاد والعلاقات الدولية وتفاصيل الصلاة والزكاة والحج والصيام والحكم.. إلخ.

فكان لابد أن يبدأ الرسول عليه السلام من هنا، لأنها _أي قضية الشرك بالله وعبادة الأصنام_ هي الظاهرة التي كانت سائدة في ذلك المجتمع، ولكن على أساس **(لا إله إلا الله)**.

وإذا تدبرنا القرآن الكريم وجدنا كُل نبي ينطلق من قضية مركزية، فسيدنا داود عليه السلام جعله الله تعالى خليفة، وآتاه الملك والحكمة وفصل الخطاب، فكان حاكماً عادلاً، وعندما تخاصم إليه الخصمان، وتسوروا المحراب، ولأنه كان يعبد الله تعالى في محرابه وغفل قليلاً عن فض الخصومات بين الناس، عاقبه الله تعالى ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ﴾ [ص: 26]، وحاشا لله أن يتبع الهوى.. ولكن الهوى هنا هو حُبه وعبادته الفردية في المحراب، فقد كان عليه السلام أواهاً حليماً كثير العبادة، كان يعشق الانفراد بالله تعالى، يُناجيه ويدعوه

ويفتقر له، هذا العمل العبادي جعله يغفل عن مهمته الأخرى وهي (الحكم والقضاء بين الناس) فكانت عبادته الفردية على حساب الاهتمام بقضايا الناس ومشاكلهم، ولذلك عاتبه الله تعالى، فأدرك داود عليه السلام أن له مهمة وقضية مركزية، عليه ألا يغفل عنها، فخر راكعاً وأناب..

وكذلك عيسى عليه السلام واهتمامه بإبراز المعجزات لبني إسرائيل لأنهم كانوا لا يؤمنون إلا بالمحسوس والملموس، فجاءت رسالة عيسى عليه السلام تُركز على الروحانية الكبيرة، والإيمان والسلام والسكينة كي يحدث التوازن في حياة الناس. والحديث حول مركزية القضايا للأنبياء عليهم السلام يطول، فاكتفينا بإبراز بعض الأمثلة.

المبحث الرابع
كل حركة إسلامية لها قضية مركزية

من هنا جاء اهتمام الجماعات الإسلامية وعبر التاريخ بأسلوب مُعين أو قضية مُعينة، تراها أهم حدث أو أجدر أن تنطلق منها.. فمن الحركات من ركز بالتربية والدخول في مؤسسات المجتمع واعتبرت التغيير الأفضل لا يكون إلا بهذه الطريقة من إصلاح الفرد والمجتمع. ومنها من اهتم بعكسها، أي بدأ بتغيير الفرد، ومنها من اهتم بالدعوة للصلاة والصوم والقيام على أمور العبادة، ومنها من انتهج الجهاد المسلح، فكل حركة أو جماعة انطلقت من نقطة وظاهرة رأتها من المناسب البدء بها.

ومن هنا؛ وبعد شرح قضايا الأنبياء المركزية، وبعد ذكر اهتمام بعض الحركات والجماعات الإسلامية بقضايا مركزية انطلقت منها.

ورأينا أن **حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين** اعتبرت فلسطين قضية الأمة المركزية، **والتي تنطلق من أبعاد ثلاثة:**

1 – البعد القرآني.

2 – البعد التاريخي.

3 – البعد الواقعي.

ولسنا بصدد شرح هذه الأبعاد الثلاث، ففي موسوعة الأعمال الكاملة للدكتور **(فتحي الشقاقي)** توضيح بشكل عميق لهذه الأبعاد الثلاث، وكذلك الكتيب الصغير **(فلسطين قضية مركزية، لماذا؟ وكيف؟)** أيضا للدكتور **(فتحي الشقاقي)** فيه من التفصيل ما يكفي حول هذا الأمر.

ففي اعتبار **حركة الجهاد الإسلامي لـ (فلسطين)** هي **القضية المركزية**؛ أي على الأمة كل الأمة بقواها وحركاتها ودولها ومفكريها وعلمائها وفقهائها وقواها أن توحد طاقاتها المالية والبشرية والعلمية والجماهيرية نحو فلسطين.. نحو القدس.. وأن لا تنحرف هذه البوصلة لقضية أخرى؛ تُهدر فيها الطاقات بلا طائل ولا إنجاز.

فهذا الاجتهاد _وهو اعتبار فلسطين قضية مركزية للأمة_ لم يكن اعتباطاً، وإنما جاء بناءً على فهمه للقرآن الكريم والتاريخ والواقع، وأيضاً جاء على أساس **(لا إله إلا الله)**، ففلسطين هي المشروع الإسلامي المعاصر الذي مازال يحتم على الأمة أن تتبناه وتسير في اتجاهه، وها هي الأمة تسير بهذا الاتجاه.

بقي أن نقول أنه لا يوجد في قضايا الأمة ما هو أهم من قضية فلسطين، وكي نربط مشروع فلسطين بقضايا الأنبياء سئل الدكتور **(فتحي الشقاقي)** يوماً: **أنك إذا تبنيت مشروع فلسطين _من بحرها إلى نهرها_ فإنك ستسبح ضد التيار، فقال: الأنبياء سبحوا ضد التيار** _تيار الظلام والغي والظلم_.

المبحث الخامس

إبراهيم عليه السلام، وشمولية الدعوة

عندما نتدبر القرآن الكريم نلاحظ أن **إبراهيم** عليه السلام يبرز كمؤسس رسالة التوحيد، ويظهر كمن يؤصل للرسالة الإسلامية التي ستبقى مستمرة مادام الزمان والمكان.

وما زال صوت دعائه يجوب الأفق وهو يتوجه لله تعالى ويقول: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم:37]، فكانت دعوته عليه السلام للناس كل الناس، ولم تقتصر على قوم معين أو مكان معين.. ولم تتوقف عند زمان وفترة معينة، بل ظلت مستمرة لأنها أصل الرسالة المحمدية.

فكان هذا المكان عند (البيت المحرم) الذي لم يكن فيه زرع ولا ماء، ولا ما يُقيم الحياة، فجاء الرزق من الله، وكان الدعاء في البداية **(أن تهوي قلوب الناس إليهم وأن يُقيموا الصلاة)**، وبعدها طلب الرزق من الله.. فقد أصبح هذا المكان وبفضل دعاء **إبراهيم** عليه السلام المكان الأقدس في العالم، والذي يؤمه الملايين من جميع أنحاء العالم، ومن كل فج عميق، ليؤكد على وحدة رسالة الأنبياء، وقد مثلت رسالة **إبراهيم** عليه السلام

الحلقة الوسطى في سلسلة الأنبياء الأطهار. فربطت بين من جاء قبل **إبراهيم** عليه السلام ومن جاء بعده، وأكدت على الشمولية بما عالجته من أمور أساسية ومهمة، فقد أكدت على رسالة الأنبياء السابقين ومهدت لرسالة محمد ﷺ.

وقد ذُكر **إبراهيم** عليه السلام في القرآن كثيراً، مما يجعلنا نقف ونُفكر لماذا ذُكر كثيراً؟؟ طبقاً لتنوع المهمات والأساليب التي استعملها **إبراهيم** عليه السلام في دعوته، أو التي كُلف بها.

فإبراهيم عليه السلام حطم الأصنام، وربما يكون هو النبي الأول الذي يستعمل القوة المادية، لعلها كانت النقلة النوعية الأولى في رسالة الأنبياء، وكذلك استعماله للمناظرة العلمية والحجة القوية، وبدا ذلك في أكثر من موقع في القرآن الكريم، وخاصة وهو يُحاور النمرود الملعون ويقول له: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة 258]، واستفساره عن كيفية إحياء الموتى، وحواره مع الكافرين من خلال الإثبات أن القمر يأفل ويغيب، وكذلك النجم، وكذلك الشمس، والإله الحق لا يغيب ولا تأخذه سِنةٌ ولا نوم.

والأخلاق الحميدة التي تجسدت في رسالة **إبراهيم** عليه السلام مثل: الكرم والعلم والوفاء والرحمة والصبر والصدق وقوة الالتزام والتوكل على الله نراها حاضرة في كُل المواقع.

والنتائج التي حدثت **لإبراهيم** عليه السلام من الاجتباء والسلامة والنصر والتوفيق والاستمرار هي زاوية تظهر فيها شُمولية رسالة **إبراهيم** عليه السلام.

فلو قُلنا أن **إبراهيم** عليه السلام ذُكر في القرآن الكريم **(63)** مرة، معنى ذلك أن هناك **(63)** قضية خطيرة ومُهمة عالجها القرآن الكريم من خلال **إبراهيم** عليه السلام، وهذه القضايا متنوعة ومتعددة وكثيرة، وبذلك تتوزع على خارطة الرسالة الإبراهيمية من حيث الأهمية.

إننا عندما نقرأ القرآن يجب أن لا نفصل القضايا عن بعضها، بل يجب أن نربط بين القصة والأخرى، بين المقدمة والنتيجة، بين الفكرة والأخرى، بين المسبب والسبب. فإذا أردنا أن نتأكد من شمولية رسالة **إبراهيم** عليه السلام، ما علينا إلا أن نجمع كل الآيات التي ذكرت **إبراهيم** عليه السلام، ونُصنفها، لندرك أنها عالجت الكثير من القضايا التربوية والعلمية والعقدية والنفسية والاجتماعية، فنراه عليه السلام مرة يدعو لعبادة الله تعالى وحده لا شريك له، ومرة يُثبت للمشركين سخافة ما يدعون له، ومرة يُحطم الأصنام، ومرة يُخاطب أباه بقيمة الرحمة والشفقة، وأخرى يُعلن البراءة منه ومن قومه عندما يتأكد أنه عدو لله، ومرة يدعو للناس جميعاً ويطلب من الله تعالى أن يُثبته على الحق والدين، ويُعلن أنه أول المؤمنين، ويرفع القواعد من البيت، ويطلب تعزيز الإيمان من خلال ﴿أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ [البقرة: 260]، ويرحل من البيت الحرام إلى بيت

المقدس، وهكذا يطوف أرض الله الواسعة، وينتقل من المقدس إلى المقدس لترسيخ المبادئ الإسلامية المقدسة.

المبحث السادس

إبراهيم عليه السلام والمصطلحات العامة

عندما خاطب الله تعالى **إبراهيم** عليه السلام خاطبه في الأصول، فقد طلب منه أن يُركز في دعوته على الأمور والقضايا العامة والأصولية، وألا يختزل رسالته في تفاصيل فقهية فرعية، أو أن يدعو قوماً معيناً أو بلداً مُعيناً أو طائفة من الطوائف أو لوناً أو فئة، بل كانت رسالته تُخاطب الجميع، وكذلك انطلاقه على أساس من الأصول والقواعد (**المنهج**).

فهناك الكثير من المصطلحات العامة التي سطرها القرآن الكريم تُبين لنا أن **إبراهيم** عليه السلام كان يؤسس دعوته عليها، وبذلك يُشكل لنا نموذجاً كي نقتدي به ونحن ندعو ألا نختزل الدعوة والرسالة في فهم مُعين أو رأي قاصر أو نُضيقها في إقليم أو بلد معين أو أن نُضيع فيها الطاقات باتجاه قضايا فرعية على حساب الأولويات العامة، والمصالح العليا التي تصب في صالح الدين أولاً، والناس جميعاً.

ولا بد لنا ونحن نتحدث عن المصطلحات أن نذكرها ونشرحها شرحاً يوضح الفكرة بشكل بيّن.

أولاً: إبراهيم عليه السلام **و مصطلح (الناس):**

كلمة "**الناس**" ذُكرت في القرآن الكريم كثيراً، وآخر سورة في كتاب الله العزيز هي سورة "**الناس**"، ولو تتبعنا كلمة "**الناس**" في القرآن الكريم لوجدناها تلتصق بكلمة "**الله**" أو "**الرب**" أو "**الإله**" أو مشتقات هذه الكلمات، وهذا يعني أن الناس هم عيال الله، هو ربهم الذي خلقهم، وأعطاهم، ورزقهم، والذي يمنّ عليهم، ويمنحهم الحياة، وهم قريبون من الله، فـ "**الناس**" خلق الله؛ خلقهم كي يعبدوه في الحياة الدنيا، لذلك تكفل بحفظهم ورعايتهم ورزقهم.

فـ "**الناس**" مصطلح عام، يقصد به كل "**الناس**" من جميع الدول والطوائف والأحزاب.. "**الناس**" عبر الزمان والمكان.. "**الناس**" بجميع ألوانهم ومعتقداتهم.. "**الناس**" كل "**الناس**".. من أقصى الأرض إلى أدناها، ومن آدم عليه السلام إلى أن تقوم الساعة..

وعندما يؤمر **إبراهيم** عليه السلام أن يؤذن بالناس ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ [الحج: 27-28]، نُدرك عظمة رسالة **إبراهيم** عليه السلام وعظمة التوحيد.. أذّن يا **إبراهيم** في "**الناس**".. كل "**الناس**".. ليس أهل الجزيرة العربية ولا أهل فلسطين ولا أهل أي دولة، إنما "**الناس**" الذين يتواجدون في قارات الأرض.. وكأن أذان **إبراهيم** عليه السلام ما زال يجوب الأفق ويُسمع كل "**الناس**".. ومن هنا نرى في الحج كُل "**الناس**".. الأُسترالي والآسيوي والإفريقي والأوروبي

والأمريكي.. ونرى كل الألوان الأبيض والأسود والأحمر والأصفر والأشقر والبني.. إلخ، ونرى الحاكم والمحكوم، الغني والفقير والمتعلم والجاهل، القوي والضعيف..

فدعوة **إبراهيم** عليه السلام تدعو "**الناس**"، لا تُميز بين طائفة وأخرى.. بين بقعة وأخرى.. بين فئة وأخرى.. لا أحد يستطيع أن يمنع أحد من تلبية دعوة **إبراهيم**.. وهذا يُعزز ثقة الإنسان بنفسه، ويُصبح الحاكم عليه الحق ليس غيره، وليس رأياً حزبياً معيناً. (الحق لا يُعرف بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله) {الإمام علي رضي الله عنه} فليس مصادفة ذِكر كلمة "**الناس**" مع كلمة "**الرب**" أو مع كلمة "**الله**" أو مع كلمة "**الإله**"، وليس مصادفة أيضاً أن تكون أول آية في سورة الحج، التي فيها آذان **إبراهيم** عليه السلام تتحدث عن الناس. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: 1]. وليس صدفة كان نداء **إبراهيم** عليه السلام لكل "**الناس**".

وهنا لابد من توضيح فكرة حول مصطلح "**الناس**" حيث يُقصد بهم الجماهير والشعوب المستضعفة والمظلومة، كل الناس المساكين والفقراء والموحدين، والمستضعفين والمظلومين الحاكمين والمحكومين، هؤلاء الله تعالى معهم، ويقويهم على من ظلمهم حتى لو كانوا غير مؤمنين، و إلا بماذا نفسر الثورات في أوروبا؟ أما طبقة المستكبرين والظالمين، طبقة قارون وفرعون وهامان، فقد رفضوا أن يكونوا من "**الناس**"، لذلك سُحقوا ودُمّروا لأنهم تعالوا على "**الناس**" واستعبدوهم بقوتهم وأموالهم..

هذا المصطلح يقودنا إلى فكرة مهمة؛ وهي أن نجاح أي فكرة أو حركة لا يكون إلا إذا قدمت الخدمة "**للناس**"، والتصقت مع "**الناس**" في كل أمورهم العامة والخاصة. والفشل يبدأ إذا بدأت تقتصر من "**الناس**" على أبناء هذا البلد أو هذا الحزب أو هذه القرية.. إلخ.

والدلائل من واقع الحياة كثيرة، وأوضح دليل أن الإسلام جاء لخدمة "**الناس**"، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: 28]، ولكل "**الناس**"، ولكل الفئات، فانتصر وانتشر وتوسع، بينما اليهودية التي لم تلتصق "**بالناس**" وتقوقعت في الأحبار والمواقع والحارات، لذلك حاكمها "**الناس**" ونبذوها.

وهنا طبعاً نقصد باليهودية اليهودية المحرفة وليست الصحيحة، فالتوراة والإنجيل من الكتب السماوية التي اعترف بها القرآن وجعل الإيمان بها واجباً، لأنها تدعو للتوحيد ولعبادة الله، وهذا ينطبق على كل الحركات والدول والأحزاب والفئات التي التصقت مع "**الناس**" وعالجت مشاكلهم وتحسست ظروفهم وأحوالهم، فانتصرت وتقدمت وأبدعت في كل الميادين؛ والعكس صحيح، فالحركات التي لم تخدم إلا ذاتها ونفسها؛ ماتت واندثرت وداستها عجلة التاريخ.

فدعوة "**الناس**" هنا يعني أنك وضعتهم كلهم في صف واحد، وفي دائرة واحدة وفي صعيد واحد على اختلاف ألوانهم وألسنتهم وبلادهم كي تتغير بهم وجهة التاريخ.

فالجماهير أداة للتغيير، فالله عز وجل مع "**الناس**"، وضد الظالمين والمستكبرين، والله مع الموحدين المتواضعين وضد المشركين والجبابرة فمن يظلم "**الناس**" ويعتدي عليهم كأنما يعتدي على الله؛ لأن "**الناس**" خَلق الله لأنهم عباده، وعياله، وكلما خدمت "**الناس**" أكثر كلما كنت قريباً من الله أكثر، (إذا أردتَ أن تَسعَدْ فأَسْعِد الآخَرين)، وكلما بخلت على "**الناس**" ولم تُقدم لهم، كلما ابتعدت عن الله **(لا يشكر الله من لا يشكر الناس)** {رواه أحمد وأبو داوود والترمذي}.

"**فالناس**" جُبلت على حب من أحسن إليها، الناس فيها فطرة أن تُساند المحسن والصادق، الذي يأخذها إلى بر الأمان، وهي أيضاً تثور على من يظلمها، وتتقلب عليه وإن طال ظلمه، والتاريخ يروي لنا الأمثال الكثيرة التي تؤكد هذه الحقيقة.

فالثورات التي حدثت عبر التاريخ ضد الحكام والفراعنة ومن ساموا الناس سوء العذاب كانت علامة واضحة على أن "**الناس**" هم من قاموا وثاروا عليهم وغيروا وجه التاريخ.

صحيح أن الذي يقود "**الناس**" في بعض الأحيان علماء أو قادة على قدرة وكفاءة عالية، أو حركات طبيعية قامت من أجل إنقاذ "**الناس**" والاهتمام بهمومهم ومشاكلهم، أي أن الناس هم خميرة الثورات وأساسها وجماهيرها وقوتها هم "**الناس**".

فعندما نادى **إبراهيم** عليه السلام وأذن في "**الناس**"؛ كان يُنادي فطرتهم ودوافع الخير فيهم، مثل التوحيد والشهادة والصدق والتقوى والخير والحب والإيثار والتعاون وكل القيم الدينية ﴿دِينًا قِيَمًا﴾ [الأنعام: 162].

وكذلك هذا الشرح لا يتعارض مع قول الله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: 28]، ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: 103]، هؤلاء الصنف من "**الناس**" الذين لا يعلمون مورس عليهم التضليل والصد عن سبيل الله والخير والحق من خلال الوسائل الكثيرة الإعلامية وغيرها، حتى أصبحوا لا يرون الحق إلا بعد ما يأتي من يزيح الغشاوة عن عيونهم والران عن قلوبهم، وكانت الماكنة الإعلامية الضخمة تعمل على تدجين "**الناس**" وإخافتهم وقتل روح المبادرة عندهم، وجعلهم يهتمون برغيف الخبز وقوت اليوم، وقتل طاقاتهم في قضايا صغيرة بعيداً عن قضايا الإسلام والدعوة والوطن والتحرير والجهاد والتضحية في سبيل إعلاء راية الحق.

وفي القرن العشرين كشاهد قريب على الثورات التي قام بها "**الناس**" ضد الاستعمار والاحتلال والأنظمة الطاغوتية، ثورة عمر المختار التي قام بها الشعب الليبي، وقاومت الاحتلال الإيطالي أكثر من عشرين عاماً، وصمدت في وجه أعتى قوة استعمارية آنذاك، وأصبحت عبرة لكل الأجيال القادمة.. وثورة الجزائر، بلد المليون شهيد قام بها الشعب الجزائري.. وثورة مصر ضد الإنجليز قام بها الشعب المصري، والثورة

الإسلامية الإيرانية ضد الشاه قامت بها الجماهير الإيرانية حتى أسقطت الشاه، حيث خرجت الملايين إلى الشوارع تهتف بسقوط الطاغية، كذلك ثورة الشعب الفلسطيني في عهد القسام وفي الانتفاضة الأولى والثانية قام بها "**الناس**"، أي الشعب والفصائل الفلسطينية كانت توجه وتنظم حركة الناس وتؤطرهم لمجموعها وإطارها.

كذلك الشاهد الأخير على ثورة "**الناس**" انتصار حزب الله في جنوب لبنان؛ حيث انسحب الاحتلال مرغماً بعد مقاومة دامت عشرين عاماً، وكذلك الانتصار العظيم الذي حققه الناس في حرب الجنوب اللباني (تموز 2006) التي استمرت (33) يوماً من أصعب الأيام وأكثرها ضراوة، وهُزم الجيش الذي لا يُقهر.. كما كان يُسمى قبل ذلك.

ورغم التشريد والحرب الإجرامية على الناس إلا أن "**الناس**" صمدت وحققت نصراً للأمة وللأحرار في العالم، ولم يُسجل موقفاً واحداً ضد المقاومة حتى من النساء والشيوخ والأطفال؛ بل على العكس كانت الجماهير و"**الناس**" تهتف للجهاد والمقاومة وللنصر رغم ما أصابها من الحرب.. وبعد انتهاء هذه المعركة التي تكللت بالنصر لنهج المقاومة والجهاد، قام "**حزب الله**" بتعويض "**الناس**" عن جزء من تضحياتهم وما فقدوه خلال الحرب.

وبقي أن نقول أن الشيخ المجاهد **(حسن نصر الله)** الذي قاد المقاومة أكثر من عشر سنوات عندما كان يدعو لمهرجان يحضره ما يُقارب المليون ونصف المليون.. مما يؤكد لنا أن ثورة "**الناس**" مازالت مستمرة

مع من يخدمها ويعمل لصالحها ويُدافع عن حقوقها؛ فتعطيه من شبابها وأبنائها وأعمارها وأموالها ما ينصره ويجعله يستمر في الوقوف أمام الظالمين المجرمين.

ويجب أن يظل نداء **إبراهيم** عليه السلام لكل الناس حاضراً في أبجديات كل حركة تريد الاستمرار والانتصار وتحقيق الأهداف..

الوقوف مع "**الناس**" كل "**الناس**" ومع طموحاتهم وأهدافهم ومعالجة همومهم ومشاكلهم وإرشادهم وتوعيتهم ودعمهم في كل الميادين والمجالات دليل على صوابية الطرح وعلى ديمومة واستمرار تلك الحركات.

وقد ذكر لنا التاريخ في المقابل أن الأحزاب والحركات والدول التي عادت "**الناس**" واضطهدتهم؛ انتهت إلى غير رجعة، وانقرضت رغم أنها كانت من القوة ما لا يُصدقه الخيال.. لأنها تعاملت مع "**الناس**" بفوقية واعتبرت نفسها أحسن من "**الناس**"، ومن طبقة أرقى ومعها الحق في قتلها "**للناس**" وتعذيبهم وحرمانهم من أبسط حقوقهم.

فالرسالة الإسلامية ما هي إلا خدمة وإنقاذاً "**للناس**" والأخذ بهم إلى الخير والدفاع عن حقوقهم المسلوبة وتبنّي طموحاتهم وأهدافهم.

ونعجب جداً لبعض الحركات الوطنية والإسلامية التي تقتل "**الناس**" على الهوية أو الطائفية أو على خلاف الرأي.. "**فالناس**" الموحدون معصومة دماؤهم بالنصوص الواضحة.. وهذا المنهج الذي يصنف "**الناس**" ويكفرهم ويقتلهم يسير باتجاه كمن يضيق الدائرة على نفسه،

وبالتالي يختنق أو يكاد أن يختنق، لأن "**الناس**" حاكمته وحاصرته ورفضته، "**فالناس**" والجماهير هي البحر الذي تسبح فيه الدول والحركات والأحزاب، فإذا لم تجدف جيداً تغرق وتمت أو تُلفظ إلى اليابسة لظروف طقس غير ملائمة تؤدي لموتها وهلاكها.

ثانياً: إبراهيم عليه السلام ومصطلح (الأمة):

والأمة في اللغة: قال ابن منظور في لسان العرب في مادة أمم في صفحة 26 الجزء 12، طبعة دار صادر، نقلاً عن الليث: (**الأمة:** كل قوم نسبوا إلى نبي فأضيفوا إليه فهم أمته وقيل أمة سيدنا محمد ﷺ كل من أرسل إليه ممن آمن به أو كفر.

وقال الإمام الراغب الأصفهاني في المفردات صفحة 21: (**الأمة:** كل جماعة يجمعهم أمر ما: إما دين واحد، أو زمان واحد، أو مكان واحد سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخيراً أو اختياراً) وجمعها أمم.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: 120]، وكلمة "**الأمة**" مصطلح عام يضم كل أطياف "**الأمة**"، فعندما نقول **الأمة الإسلامية** معنى ذلك أننا ذكرنا كل المسلمين في أنحاء الأرض، كل من قال أنه ينتمي لهذه "**الأمة**"؛ لتاريخها ولثقافتها ولحضارتها ولدينها ولجهادها.

فـ "**الأمة**" تشمل الكل والجميع، فعندما نقول **الأمة الإسلامية** فإن معنى ذلك: كل طوائف الأمة وجماهيرها وعلمائها وأحرارها وحركاتها ومفكريها، كل المسلمين من سنة وشيعة وصوفية وسلفية وأشاعرة

وفلاسفة، فـ "**الأمة**" تشمل الجميع؛ جماهير وأناس، وكذلك تشمل كل القيم التي تقوم عليها "**الأمة**" وتعيش من أجلها.

وعندما يقول **الله تعالى:** ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: 120] فمعنى ذلك أنه يُمثل "**الأمة**"، بل خلاصة فكرها وصفائها وقوتها وعظمتها وإنجازها. كذلك هو بشخصيته المميزة وما امتازت به من سجايا وصفات، وُصف أنه "**أمة**".

فإبراهيم عليه السلام بتوحيده وتأسيسه للبيت الحرام.. بدعائه.. بروحانيته الشفافة.. بصلابة مواقفه، بعلمه، بفكره كأنه "**أمة**" قائمة بذاتها تصارع الأمم الأخرى وتدعوها للتوحيد.

كان يقول لزوجته: **(والله يا هاجر لا أعلم أنه على هذه الأرض مؤمنين إلا أنا وأنتِ)** {إسناد ضعيف للألباني}.. فقط هو المؤمن والموحد، ولكنه "**أمّة**"، يَأُمُّه الناس.. يعتبرونه قدوة.. يتأسون به وبدعوته... يسيرون على نهجه.. ويتوجهون له يرشدهم إلى الصواب والسداد..

هكذا كان **إبراهيم** عليه السلام "**أمة**" رغم أنه كان فرداً، لكنه ذو همة عالية، و**(ربّ همة أحيت أمة)** {الإمام علي رضي الله عنه} فَهِمَتُه في الدعوة والاستمرار فيها وعدم اليأس وتحدي النمرود وتحطيمه للأصنام، ورفعه لقواعد البيت الحرام، وحواره المستمر مع من يشك في عظمة الله، وحلمه وصبره، كل ذلك وأكثر، كان يدفع **إبراهيم** عليه السلام أن يكون ذو همة

عالية، لا يمكن أن يكون "**أمة**" إلا إذا توفرت همة "**الأمة**"، وكان عليه السلام خير من يُجسدها.. ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: 114].

كان عليه السلام وحيداً، ولكنه كان "**أمة**" في عمله وأخلاقه، كان وحيداً ولكنه كان "**أمة**" في إخلاصه وثباته وصموده، كان وحيداً ولكنه كان "**أمة**" في نهجه ومبدئه.

لم يُسمَّ عليه السلام "**أمة**" إلا بعدما عمل عَمَلَ "**الأمة**"، وإلا بعدما ترجم عاطفته وإيمانه على أرض الواقع، في جهاد وتضحيات مستمرة، إذ لا يكفي العلم المجرد المخزون في عقل الإنسان، فلابد لهذا العلم من عاطفة دفاقة تترجمه على الأرض في واقع الناس فـ "**ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل**". {الحسن البصري}

فالمؤمن وهو يقرأ عن سيدنا **إبراهيم** عليه السلام لا بد أن يقتدي به، ويبدأ في طريقه نحو تحقيق الطموح الكبير وهو أن يكون "**أمة**"، بحلمه وعلمه وسعة صدره، وتفانيه وإخلاصه وجهاده المستمر؛ يستطيع أن يكون "**أمة**"، بثباته وصموده على الفكر الإسلامي والدعوة الإسلامية، كذلك الحركة والحزب والمؤسسة والدولة تستطيع أن تكون "**أمة**".. العالِم والفقيه والمفكر يستطيع أن يكون "**أمة**" إذا كان ما يقدمه وما يطرحه يوازي طموح "**الأمة**".

"**فالأمة**" تمتد زماناً ومكاناً وفكراً، فعلى من يريد أن يكون "**أمة**" أن لا يقتصر فكره ودعوته على بلد معين أو فترة زمنية معينة، أو يطرح

أفكاراً تخدم شخصه أو مصالحه أو مذهبه أو رأيه أو مزاجه، وإنما يجب أن تكون الدعوة والجهاد والأخلاق على مستوى "**الأمة**"، وتمتد مع الزمان والمكان، والأمة بقيمها، كان أبو حنيفة رحمه الله يسير يوماً في الطريق، فنظر إلى أعلى فإذا بفتاة تقف على شرفة بيت في مكان مرتفع، فحذرها من السقوط، وكانت الفتاة من الذكاء الكبير، وتعرف قيمة أبي حنيفة، فقالت له يا أبا حنيفة: أنا إن سقطتُ ذهبت ولا أحد يعلم بي ولا أؤثر على أحد، أما أنت إن سقطتَ سقطت **الأمة** من ورائك، فاحذر السقوط.

لماذا هذا التحذير؟ لأن أبا حنيفة رحمه الله كان يمثل "**الأمة**" في فقهه وفكره ونهجه وآرائه النيرة، فبقي خالداً في عقل "**الأمة**" وقلبها النابض، لأن علمه تجاوز المكان (العراق) والزمان (دولة بني العباس) وشخصه ومصالحه إلى صالح "**الأمة**" ودينها وحضارتها.

والرجال والعلماء والمفكرون كُثر من مثلوا "**الأمة**" في عطائهم وفكرهم وجهادهم، فكانوا بحق "**أمة**".

فإذا أردنا أن نربي الأطفال أو الأجيال أو الشباب فعلينا أن ننقلهم من ساحة الفرد إلى ساحة المجموع، من ساحة الحزب إلى ساحة "**الأمة**"، من الأنانية إلى الإيثار، حتى لا يتقوقع في ذاتيته وأنانيته، "**فالأمة**" قمة، و"**الأمة**" همة، و"**الأمة**" قُدوة، و"**الأمة**" نموذج، و"**الأمة**" سمو وارتفاع وعدل، و"**الأمة**" شهادة على الناس، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ [البقرة: 143].

فمن يرد أن يمثل "**الأمة**" أو يدافع عن "**الأمة**" عليه أن يكون مجـــرداً من أهدافه الشخصية والحزبية ويعمل لصالح "**الأمة**" جميعـــاً.. ويكـــون خطابه وشعاره واستراتيجيته تخاطب "**الأمة**" وباتجاه صالحها، وهذا يعني أن لا يسعى الشخص أو الحزب أو الحركة لتحقيق مصالحه الآنية وينسى الهدف والغاية البعيدة التي عمل من أجلها.

الكثير من الأحزاب والحركات في عالمنا الإسلامي تعـــيش لـــذاتها، وتتقوقع في شعاراتها وأهدافها الحزبية بعيداً عن دائرة "**الأمة**" الواســـعة، وأحياناً تصل الأمور لأسوأ من ذلك بحيث يعتبر هذا الحزب "**الأمة**" جزءاً منه، وليس العكس.. إنه جزء من "**الأمة**"، ومعنى هـــذا أن يعمـــل بكـــل جهوده لتطويع طاقات "**الأمة**" لصالحه الحزبي أو لشعاراته.

فعلى الحزب أو الحركة أن يذوب في "**الأمة**"، يعمل لأجلهـــا ويكـــون جزءاً منها، ويتوحد مع فصائلها وأحزابها الأخرى، وإذا ما قورن الحزب أو الحركة بـــ "**الأمة**" يكاد لا يُذكر، فإذا قلنا "**الأمة**" الإســـلامية بأقوامهـــا وألوانها ولغاتها وأرائها واجتهادها واستمراريتها يُصَغِّر أكبر حزب؛ لأنه محدود في إقليمه وأهدافه.. وأحياناً يصبح الحزب هـــو المقيـــاس ولـــيس "**الأمة**".. وهذا ما سماه أحد المفكرين: **(الأخلاق الحزبيـــة فـــي الإســـلام)** والأصل أن تكون **(الأخلاق الإسلامية في الحـــزب)**.. لا يجوز لأي حزب أن يُحاكم "**الأمة**" بأخلاقه، بمعنى أن ينصب نفسه حاكمـــاً علـــى "**الأمـــة**" وعلى المسلمين وهو لا يتعدى أن يكون جزءاً منهم وحزباً فيهـــا ولـــيس كلها.

و"**الأمة الإسلامية**" أو مصطلح "**الأمـــة**" هي الإطار الواسع الذي يضم داخله الجميع، ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 92]، فالعمل والتحرك السياسي والدعوي يجب أن يكون باتجاه أهداف "**الأمـــة**" الواحدة.

الدكتور **(فتحي الشقاقي)** عندما أراد أن ينطلق بفكـــر جديـــد أســـس تنظيماً أو حزباً ارتكز على أفكار "**أمة**"، ولم يكن في خلده أن يقـــف فـــي منتصف الطريق أو يكتفي بتحقيق إنجاز ما في ظرف ما أو في زمن مـــا، لكنه قال في شعاراته التي رفعها أو أفكاره التي نظـــر لهـــا أن فلـــسطين قضية "**الأمة**".. كل "**الأمة**"، والوحدة الإسلامية تكون من خـــلال التعـــدد، وحدة "**الأمة**" في العقيدة وفي الأهداف العليا والمصالح الكبرى والمـــنهج وعدم انشغال أحزاب "**الأمة**" في تفاصيل وفروع بعيد عن تحقيق الأهداف البعيدة، وعندما قال: "**ونهر الدم لا يتوقف دفاعـــاً عـــن العقيـــدة.. عـــن الأرض والأفق والتاريخ.. دفاعاً عن الحق والعدل والحرية والكرامـــة.**" كان بحق مفكراً على مستوى "**الأمة**" وعاملاً لنهضتها ولعزتهـــا ولبعـــث روح التحدي فيها.

و"**الأمة**" حتى تحقق الإنجاز الحضاري للبشرية وحتى تعكس الصورة الجميلة للإسلام، وحتى تقدم النموذج العملي المتمثل لمجتمع مترابط متقدم مزدهر، لابد لها قبل ذلك أن تخرّج علماء على مستوى "**الأمة**"، وحكامـــاً وأمراء وأحزاباً وحركات ومفكرين ومجاهدين يعملـــون لعـــزة "**الأمـــة**" ونهضتها.

ويجب على هؤلاء أن يكونوا "**أمة**" في صورة شخص أو في صورة حزب أو حركة.

ثالثاً: إبراهيم عليه السلام **ومصطلح (المسلمون):**

قال الله تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: 78].

وفي آية أخرى يُعاهد **إبراهيم** عليه السلام الله أن يكون أول "**المسلمين**" ﴿وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام 163]. وفي آية أخرى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 128].

إبراهيم عليه السلام هو الذي سمانا "**المسلمين**".. والتسمية بالإسلام رمز للهوية المميزة التي تميزك عن غيرك من أهل الأديان والطوائف والآخرى.

كذلك التسمية بـ "**المسلمين**" فيها الميزات الأخلاقية؛ إذ الإسلام ليس شعاراً ولا اسماً وإنما هو عقيدة وأخلاقاً وأحكاماً، فعندما نقول "**المسلمين**" معنى ذلك نقول لكل من أسلم وجهه لله تعالى.

وعندما سمانا **إبراهيم** عليه السلام بـ "**المسلمين**" لم يُحدد قوماً معيناً ولا مكاناً معيناً ولا زماناً ولا بعض شخصيات، وإنما حدد هوية وفكرة وصفة؛ هي الإسلام، والمسلمون يمتدون ويكثرون ويُضحون ويجاهدون

في كل بقاع الأرض، فمن أعلن الإسلام بالشهادة قولاً؛ وآمن بأركان الإسلام؛ واستقبل القبلة وصلى الصلاة المكتوبة يكون في دائرة الإسلام، ومع جماعة المسلمين.

وما الحركات والآراء والاجتهادات والتفسيرات إلا تنافس مقبول داخل الدائرة الإسلامية، بشرط ألا يتعصب كل لرأيه على حساب تشويه وطعن وشتم الطرف أو الرأي الآخر.

إن الإسلام يتسع لكل الاجتهادات والاختلافات التي نراها على امتداد رسالة الإسلام، والإسلام أوسع وأكبر من أي حزب أو أي طائفة، وأكبر من أي اجتهاد ورأي.

فالمسلمون كلما كانوا مجتمعين توحدهم القيم الإسلامية كلما أعطوا للإنسانية النموذج الحضاري الراقي، وكلما كانوا مختلفين خارجين من نطاق الفهم الواسع للإسلام والكل يفكر بدائرته الحزبية أو الشخصية بعيداً عن دائرة المسلمين تداعت عليهم الأمم ونهشت من طاقاتهم وثرواتهم وأصبحوا غير مهابين لأنهم فرطوا بأنفسهم **كمسلمين.**

و"**المسلمون**" هم الشاهد الحضاري على باقي الأمم، وهم الذين يشهدون على باقي الناس في الدنيا والآخرة، وهم أصحاب القيم الإنسانية الرفيعة، وعندما سمانا **إبراهيم** عليه السلام **بالمسلمين**، بهذا الاسم العام كان يدرك بأن هذا الاسم وهذا الرمز وهذا الشعار له استحقاق كبير ومستمر عبر الزمان والمكان، فالمسلم لا يكفي أن يسجل في شهادة الميلاد أو في بطاقته الشخصية أن ديانته "**مسلم**"، إنما عليه واجبات واستحقاقات حتى

تتحقق فيه التسمية على أرض الواقع.. من صلاة وصيام وجهاد ودعوة وتضحية وارتقاء.

كذلك الدول والحركات حتى تستحق اسم الإسلام فلابد أن تعيش هَمَّ "**المسلمين**"، تساعدهم وتقف معهم وتؤازرهم وتتَبّتهم، حتى لو لم يكن هؤلاء "**المسلمون**" غير مؤطرين أو متحزبين لتلك الحركات أو الدول.

وسمانا "**مسلمين**" أي وظفنا في هذه المهنة، أو كلفنا مهمة الإسلام وهي ربط الناس بالله تبارك وتعالى، وتعريفهم بربهم.

وهو سماكم "**المسلمين**" كي تكونوا فقط مستسلمين لله وليس لأحد غيره، فلا تبعية لشرقٍ ولا لغربٍ، ولا ليهود أو نصارى أو مشركين، ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: 67]. والمسلمين هوية مستقلة، لا تتبع إلا الله تعالى ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة: 138].

فتذوب كل الحواجز والفوارق الطبقية واللغوية في هذه التسمية، وتنتهي كل الانتماءات للإقليم والوطن والطائفة ويصبح الانتماء الأصلي والأساسي للإسلام والمسلمين، وبعدها يأتي الانتماء للفرع والاجتهاد.

ولو تحققت في "**المسلمين**" هذه التسمية لسقطت العروش واهتزت الإمبراطوريات، وتقهقرت جيوش اللصوص التي ما جاءت إلا لسرقة كل ما يقع تحت أيديها، في غفلة من "**المسلمين**" البعيدين عن الوحدة والتسمية الإبراهيمية، وبعيدين عن الشهادة ومتخمين بالتفاصيل والجزئيات الحزبية

والمذهبية، والفاقدين لبوصلة الأولويات، وهذا يدمي القلوب، {فمن يستوعب أن تبعث السعودية للبوسنة والهرسك(*) مليون نسخة من القرآن الكريم، وهم يُذبحون ويجوعون ويحرقون وتُغتصب نساؤهم؟ والمسلمون هناك كانوا بحاجة للغذاء والدواء والمال والسلاح كي يبقوا على قيد الحياة، وكي يقوموا ويدافعوا عن أنفسهم، ترسل لهم مليون نسخة من القرآن!! وهم لا يُتقنون العربية.. حتى القرآن يدعونا لأن نتعاون على البر والتقوى ونساند المسلمين في كل مكان}.

من يدين بالإسلام يجب أن يطبق الإسلام عملياً.. هذا مثال بسيط، فماذا تقول عن ستين عاماً من الاحتلال الصهيوني لأرض الإسلام فلسطين وللشعب الفلسطيني المسلم؟!

التسمية الإبراهيمية لنا بـ "**المسلمين**" تقتضي الوحدة والتخطيط والتنظيم والتعاون والجهاد المستمر لتحقيق النصر للـ "**مسلمين**"، ونبذ الخلافات والتعصب والأفكار الاستسلامية، فقد قال رسول الله ﷺ: **(إذا قال الرجل: هَلَكَ الناس، فهو أهلَكهم)** {رواه مسلم}.

والآية التي ذكرت فيها التسمية هي آخر آية في سورة الحج، **وقد شملت هذه الآية استحقاقات التسمية وهي:**

1 – الجهاد حق الجهاد.

2 – الاجتباء والاختيار.

(*) حرب البوسنة والهرسك من مارس 1992م حتى نوفمبر 1995م.

3 – التكليف قدر الاستطاعة ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾. [الحج: 78]

4 – الشهادة على الناس.

5 – إقامة الصلاة.

6 – إيتاء الزكاة.

7 – الاعتصام بالله ﴿اعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾ [الحج: 78].

وبالتالي عندما يتعامل **المسلمون** مع بعضهم أنهم كتلة واحدة، وجبهة واحدة تسير باتجاه محدد معين، عندها تهابهم الأمم والدول، وصلاح الدين رحمه الله تعالى ذلك القائد المسلم الكردي الذي وحد المسلمين وجمع كلمتهم التي تفرقت حروفها في مصر والشام والعراق.. فباجتماع كلمتهم فُتح بيت المقدس سنة 15 هجرية، وحُرر المسجد الأقصى سنة 583 هجرية، فلا التفات للقومية والوطنية والإقليمية والبلدية في ظل وجود ما هو أشمل وأعظم وأوسع وأعمق، وهذا لا يعني بحال ألا يهتم المسلمون بقضاياهم الوطنية والقومية، وإنما يكون ذلك بعد ترسيخ شعار ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج: 78].

بقي أن نقول تحت هذا العنوان إن الدين ليس كما يُقال هو "**أفيون الشعوب**".. و"**المسلمون**" "**رجعيون**" إذ أن الإسلام يحرم التقاعس والذل، ويذم المتخاذلين والمتخلفين، فالدين الإسلامي هو الذي يُنهض الشعوب والأمم ويدعوها للثورة على الظالم وعلى الواقع الجاهلي، و"**المسلمون**" هم الذين تصدوا للاستعمار وللحملات الصليبية وللغزو الأجنبي، وهم

الذين ثاروا على الأنظمة وأسقطوا عروش الطواغيت، وهذه المقولة التي ظهرت في أوروبا في العصور الوسطى عندما كان رجال الدين المسيحي يضطهدون العلماء ويقومون بمحاكم التفتيش، ونقلوا ذلك على كل دينٍ تجاهلاً منهم لحقيقة الدين الإسلامي الذي يدعو للعلم وللنهضة وللثورة.

فتسميتنا بـ "**المسلمين**" تقتضي أن نبقى مستسلمين لله تعالى معلنين الانتماء للإسلام، والثورة على الظالمين، وأن نحافظ على إرث الأنبياء والمسلمين، وتسليم الراية والأمانة للجيل القادم، وبذلك تبقى المسيرة الإسلامية مستمرة بعزة وإباء.

رابعاً: إبراهيم عليه السلام ومصطلح (الأبوة):

﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ﴾ **فإبراهيم** عليه السلام يمثل "**الأب**" للمسلمين من خلال تسميته لنا بالمسلمين، ومن خلال الوصف الإلهي له ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ﴾ وهكذا يكون **إبراهيم** عليه السلام "**أبانا**".

وهذا المصطلح العام (**أَبِيكُمْ**) يمثل كل معاني الأبوة، فـ "**الأب**" هو الذي يرعى الأسرة ويرشدها ويوجهها ويعلمها، من أولاد وبنات وزوجات، "**فالأب**" مسئول عن رعيته وعن علاقاته المفتوحة مع محيطه الاجتماعي، وهكذا إذا قلنا أن **إبراهيم** عليه السلام "**أبٌ**" للمسلمين بما يمثله "**الأب**" للأسرة من رعاية وإنفاق وحفظ وتوجيه وإرشاد.. ندرك أن **إبراهيم** عليه السلام ما هو إلا مسئول كامل المسؤولية عن المسلمين، فهو

أبوهم وهو الذي سماهم، وبذلك يكون الركيزة الأولى في حياتهم، ويستمر معهم بالتعليم والتوجيه والتربية والإرشاد، فالأبوة تقتضي السهر والعمل ليلاً ونهاراً.. والاهتمام اللامحدود بالأبناء والجيل الناشئ.. والأبوة تنشئ عند الأب الشعور بالمسؤولية والمحاولة الجادة لتحقيق الإنجاز وإبرازه للمجتمع على أحسن صورة، فالأب واجبه أن يربي أبناءه ويعلمهم ويرشدهم ويُقدمهم للمجتمع صالحين مصلحين.

و"**الأبوة**" كذلك درجة متطورة في سلم الحياة الإنسانية، والانتقال من مرحلة إلى "**الأبوة**".. وهذا يعزز الثقة ويزيد المسؤولية، فإن كان "**الأب**" العادي مسئول عن أسرته ومحيطه وأملاكه، فكيف إذا كان هذا "**الأب**" هو **إبراهيم** عليه السلام _أبا الأنبياء_ وأبا المسلمين وركيزة الرسالة الإسلامية، وأساسها وقاعدتها الأولى، وهذا يعني أن أبوته ستكون من طراز آخر.. طراز جديد ومميز.. ولا يقتصر على إحضار طعام للأبناء والاهتمام بتربيتهم وإرشادهم وتعليمهم، ولكن في الاهتمام باستيعاب الرسالة الإسلامية ودفع استحقاقات ذلك: التضحية، القدوة.

فإبراهيم عليه السلام "**الأب**"؛ عندما تزوج ورزقه الله تعالى بإسماعيل وإسحاق عليهما السلام كان يرحل من مكان إلى مكان، يدعو إلى الله تعالى ويُعمم رسالته على كل جوانب الحياة، فالاقتداء **بإبراهيم** عليه السلام كان لا يقتصر على أبوة الأسرة والاهتمام بالجانب المادي، إنما يتعدى ذلك فيصبح "**الأب**" رائداً من رواد الحركة والدعوة الإسلامية، فالأبوة اهتمام وريادة تنتقل من الأسرة إلى المجتمع على المسلمين كل المسلمين، حتى

تتحقق فينا أبوة **إبراهيم** عليه السلام، فكلما كان "**الأب**" يوسع من دائرة اهتمامه وأبوته كلما كان أقرب **لإبراهيم** عليه السلام، وكلما ضيق اهتمامه ابتعد عن رسالة **إبراهيم** عليه السلام، كذلك لا تقتصر الأبوة هنا فقط على المتزوجين والآباء والأبناء، إنما نقصد بالأبوة أيضاً التفاعل مع الرسالة والتميز وإظهار النموذج الأمثل في تطبيق المعاني الإبراهيمية في معنى أبيكم.

فالمسلم العالم والمربي للنشء وللشباب يتعامل معه الناس بمثابة "**الأب**" لهم، والرجل القائد العادل المثقف هو "**أب**" للناس، والمدرس الحريص الساهر على وظيفته هو بمثابة "**الأب**" للطلاب، وهكذا نستطيع أن نقول إنه كلما أتقن الإنسان دوره في الحياة كلما تحققت فيه صفات الأبوة، فعندما يقول الله تعالى عن **إبراهيم** عليه السلام: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج: 78]. فهو "**الأب**" في كل شيء، في جميع الجوانب المادية والمعنوية والأخلاقية والرسالية، وكذلك هو "**أبٌ**" للجميع.. لجميع المسلمين؛ فلا تقتصر أبوته على فئة أو أسرة أو بلد أو طائفة؛ بل هو "**أب**" المسلمين جميعهم، وهذا يجعل المسلم يشعر بدفء الأبوة الإبراهيمية وحنانها وعطفها، وهذا يتجلى في ندائه لابنه إسماعيل: ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ [الصافات:102]، "**أب**" يخاطب ابنه.. يا بني.. ويُعطيه الخيار: فانظر ماذا ترى.. أي عطفٍ هذا وأي حنان أعظم من هذا وهو يُدرك أن هذا أمرٌ إلهي؟

بقي أن نقول أن "**الأب**" يحرص على أن يكون له ولد يحمل اسمه وذكره ويُحافظ على إرثه ومنجزاته ويستمر بها، حتى الأنبياء طلبوا من الله تعالى أن يجعل لهم ذكراً في الآخرين، وأن يرزقهم الذرية الصالحة التي تحقق تطبيق الرسالة ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [الأنبياء: 89]، ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: 38].

وهنا الوراثة ليست وراثة مادية، إنما وراثة رسالة ودعوة **(إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر)** {رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرمِذِيُّ} أي هذا الدين والرسالة الإسلامية التي تدعو للتوحيد وعبادة الله تعالى.

"**فالأب**" يجب أن يورث لأبنائه العلم والأخلاق والقيم الإسلامية والسمعة الطيبة والسيرة الشريفة والتاريخ النظيف قبل أن يورث لهم المال والعقارات والأراضي؛ لأن ذلك يزول ويُختلف عليه، أما القيم والعلم فلا يزولا ولا يُختلف عليهما.

"**فالأب**" الحقيقي المتتبع لسيرة ولأبوة **إبراهيم** عليه السلام يظل متحفزاً للعمل الصالح، ولبناء سيرة ذاتية ناصعة كي يقتدي به أبناؤه أو تلاميذه أو مريدوه أو أتباعه، فيظل "**الأب**" يُنْظَر له من قبل أبناءه كنموذج، فلابد إذاً أن يحقق هذا النموذج من خلال أعمال صالحة على جميع المستويات الأسرية والمؤسساتية والمجتمعية.

خامساً: إبراهيم عليه السلام **ومصطلحي "القواعد" و "الملة":**

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: 127]، فـ"**القواعد**" جمع "**قاعدة**"، وهي الأساس الذي يبنى عليه الشيء، أو المرتفع أو الذي يُعتمد عليه إن كان ذلك ثقيلاً، و"**القاعدة**" على أساسها أن يكون الانطلاق.. فالمسلم يتحرك في هذه الحياة حركة تتفق مع "**قواعد**" الإسلام الكبيرة، التي ما جاءت إلا لمصلحة المجتمعات والناس جميعاً في الدنيا والآخرة. فـ "**القواعد**" بمجموعها تؤسس لرؤية شاملة عن الحياة، ويمكن تعريفها بأنها: "**منظومة الأفكار التي تُصبغ بها الشخصية أو الحركة أو المجتمع، فلابد إذاً لأي حضارة ولأي فرد أو حركة أو دولة أن تنطلق من قواعد كبيرة**".

فمن لا ينطلق من "**قواعد**"؛ ومن لا يؤسس حركته على أساس متين فلا شك بأنه سينهار ولا يُعمر كثيراً؛ فهو فارغٌ من الداخل، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: 109].

فالتأسيس يجب أن يكون على "**قاعدة**" التقوى والرضوان، وعندما نربط هذا الأمر **بإبراهيم** عليه السلام نرى أنه كان يرفع "**قواعد**" من البيت الحرام، يرتفع بها لتكون معلماً بارزاً وبيتاً لله يؤمه كل الناس في كل زمان ومن كل مكان إلى أن تقوم الساعة، **إبراهيم** عليه السلام يرفع "**القواعد**" ليست المادية.. حجارة لا تنطق وبناءً عمرانياً فقط.. إنما يقصد برفع

"**القواعد**" أن تكون لله تعالى يقصدها الناس، والدليل: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: 127] ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 128]، **فقواعد** هذا البيت الحرام يؤسس عليها رسالة التوحيد على مستوى البشرية.

فكان **إبراهيم** عليه السلام يبني بيتاً لله تعالى على "**قواعد**" متينة، وأسس تقوى ورضوان، ويؤسس للبشرية، ويُعزز "**قواعد**" متينة لا تطويها الأيام والسنين، ولا تؤثر فيها تعداد البشرية وتطورها، فهذه "**القواعد**" تصلح لأن تكون منهاجاً للناس، وطريق حياة ونظام يحتكمون إليه.

"**فالقواعد**" أسس استراتيجية ورؤية جديدة للعالم.. "**القواعد**" قراءة إبراهيمية للعالم، قراءة جديدة للناس وللتاريخ وللأشخاص والأقوام.. قراءة تختلف عن جميع القراءات، فالله تعالى يقول: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: 1-5]، وهنا دعوة للقراءة مرتين أو لقراءتين، قراءة في عالم الغيب وقراءة في عالم الشهادة.

أي أن من أراد أن يعلن إسلامه ويسير وفق "**القواعد**" الإبراهيمية عليه أن يقرأ كل شيء في هذا الكون قراءة إسلامية.. قراءة قرآنية.. فيقرأ التاريخ قراءة قرآنية، ويقرأ الواقع قراءة قرآنية، ويقرأ الصراع الذي يدور في العالم قراءة قرآنية، ويقرأ عالم الشهادة قراءة قرآنية، ويقرأ

عالم الغيب أيضاً قراءة قرآنية.. الجنة والنار ويوم القيامة والرسل والملائكة والجن والقدر والقضاء.. كل ذلك اقرأه قراءة قرآنية.

هكذا، "**فالقواعد**" تعني الرؤية الواضحة التي لا يشوبها الغبار والتشويش، ولا يؤثر فيها ضغط الواقع، الذي يفتقد الرؤية لا يُبصر، وهذا يؤدي بلا شك إلى تعثره واصطدامه وتحطيمه وتدميره.

"**فالقواعد**" إستراتيجية تنطلق منها الحركات والدول، والذي لا يمتلك رؤية واضحة ثابتة مضيئة ينطلق منها سينحرف ويفقد البوصلة، وكم رأينا وسمعنا عن الكثير من الحركات والأحزاب التي انهارت وانتهت لأنها لا تمتلك رؤية واضحة مُؤَسسة على "**قواعد**" متينة وصلبة، فقد تجد حركات وأشخاص ودول مُشَوَّشة الفكر لا تدري ماذا تريد!! وعلى أي أساس تستند ومن أي "**قاعدة**" تنطلق، وهذا الأمر ينعكس مباشرة على سلوكها وتصرفاتها في واقع الناس والحياة، فتراها مضطربة تستعدي عليها الجميع، وتعتقد أنها تحسن صنعاً وهي من حسن الصناعة بعيدة جداً.

فمثلاً في دولة مثل العراق توجد فصائل وحركات وأحزاب، ودولة محتلّة من قبل عدو أجنبي يسرق كل شيء، هناك حركات لا تدري ماذا تفعل؟ كيف تتصرف؟ كيف تخاطب الناس؟ تجاهد وتقاتل؟ أم تمارس السياسة في أروقة حكومة جاءت على ظهر دبابات أمريكا؟؟ تعارض من يخاصمها سياسياً بالقتال؟ أسئلة كثيرة تُطرح على كل الحركات الإسلامية

في أنحاء العالم العربي والإسلامي.. من أين تنطلق؟ وعلى أي "**قواعد**" تعتمد وتستند؟ وما هي الوسائل والأهداف؟

إن رفع "**القواعد**" في الشخص وفي الدولة وفي الحركة هو تربية مكثفة طويلة الأمد تنتج بمجموعها أمة برؤية واحدة تعبر عن نفسها ودينها وقيمتها بأرقى وأجمل ما يكون التعبير والتمثيل.

"**فالقواعد**" التي رفعها **إبراهيم** عليه السلام أو نادى بها هي "**قواعد**" عامة أيضاً، مثل الإسلام والوحدة وعبادة الله ومناداة الناس كل الناس.. والجذرية في الدعوة والرسالة والجهاد في سبيل الله والانحياز للإسلام والانتماء له ولعقيدة التوحيد، وهذا يقودنا إلى قضية مهمة، فمن يتأسس على "**قواعد**" صحيحة ليس فقط يضمن وضوح الرؤية الفكرية والسياسية وإنما أيضاً يعش حالة جهاد ورباط وإن تعثر ولم يحقق الأهداف.. يعش مطمئناً راضياً لا يحتج على قدر الله وقضاءه، وإنما يحتج على ظلم الناس لبعضهم بعضاً.. يحتج ويعلن غضبه وثورته على انحراف الواقع، فالمؤمن مطمئن ومرتاح النفس، يعمل قدر استطاعته باتجاه أهدافه وينطلق من "**قواعد**" أساسية في الجهاد في سبيل الله.

سادساً: إبراهيم عليه السلام ومصطلح (الملة):

"**الملة**" في اللغة: الشريعة أو الدين – كملة الإسلام والنصرانية واليهودية وقيل هي معظم الدين وجملة ما يجيء به الرسل. وقال الإمام الراغب الأصفهاني: "**الملة**" اسم لما شرعه الله تعالى لعباده على لسان أنبيائه ليتوصلوا به إلى جواره، والفرق بينها وبين الدين أن الملة لا

تضاف إلا للنبي الذي تستند إليه ولا تكاد توجد مضافة إلى الله تعالى ولا إلى آحاد الأمة ولا تستعمل إلا في جملة الشرائع دون أحادها.

"**الملة**" الإبراهيمية أيضاً مصطلح يُقصد به جميع المسلمين أو جميع الناس الذين يندرجون تحت راية الإسلام، و"**الملة**" هي تلك الأجيال المتتابعة منذ **إبراهيم** عليه السلام التي لم تخرج من دائرته الإسلامية الحنيفية السمحة، و"**الملة**" لها مقياسها الخاص الذي يرتبط بإبراهيم عليه السلام مباشرة ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج: 78]، فهي كلمة أوصى بها الله تعالى الناس أو المؤمنين من بعد **إبراهيم** عليه السلام كي يثبتوا عليها ولا ينحرفوا في أتون الصراع بين العقائد اليهودية والنصرانية والإسلامية الإبراهيمية. ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة 135].

فـ "**الملة**" هي الدين.. هي العقيدة، وإذا ما خُيِّر الناس بين كل الملل والأفكار والعقائد فعليهم أن يختاروا **(ملة إبراهيم)** لأن ذلك وصية الله تعالى للناس جميعاً، وبذلك تكون كلمة "**الملة**" **(ملة إبراهيم)** الميزان والمقياس الصحيح الذي يحتكم إليه الذي يجب أن تسير عليه الأمة، الذي يصوب العقائد والأفكار المنحرفة والخاطئة.

"**فالملة**" الإبراهيمية (الإسلامية) كالشجرة تؤتي أكلها كل حينٍ بإذن ربها، ثابتة راسخة أصلها يتجذر في الأرض وفرعها في السماء.. هكذا يكون الدين وتكون العقيدة ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء﴾ في سورة **إبراهيم** عليه السلام.

"**فالملة**" الإبراهيمية ليست عقيدة خيالية جدلية وهمية؛ إنما هي عقيدة تؤسس وتنتج للناس أشخاصاً وأُسراً ومجتمعات ودولاً تتمثل مبادئ "**الملة**" وتُعطي نموذجاً صالحاً للناس يقتدى به.

و"**الملة**" ليست نظرية مجردة، بل تفاعل بين النص والواقع يُطبقه الإنسان المسلم الذي يعيش في دائرة الملة الإسلامية ويرتبط بها ارتباطاً لا ينفصم.

و"**الملة**" كعقيدة جاءت إجابة على سؤال الإنسان الذي يستمر في كل زمان وفي كل مكان: من أين جئتَ؟ وإلى أين سأذهب؟ فأجابت العقيدة على ذلك بعمق وبساطة، لأن العقيدة هي أساس "**الملة**" وأساس الدين.

وأكثر من ذلك، فقد أجابت على سؤال: من أنا؟ وما هي علاقتي بالخالق؟ فتكون "**الملة**" هي العقيدة السليمة الصحيحة البعيدة عن شوائب التفسيرات والتأويلات الشاذة، وهي الإطار الذي ينتظم في دائرة كل جزيئات الدين وأصوله الواضحة البينة.

سابعاً: إبراهيم عليه السلام ومصطلح (الحج):

"**الحج**" هو فريضة على المسلم القادر في العمر مرة واحدة، ولكن "**الحج**" كفريضة نادى بها **إبراهيم** عليه السلام.. و"**الحج**" كفريضة تجسدت فيها كل المصطلحات العامة التي ذُكرت آنفاً: فـ "**الأمة**" جاءت كلها تلبي نداء **إبراهيم** عليه السلام ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً﴾ [الحج: 27]، و"**المسلمون**" جاؤوا يلبون، و"**الناس**" جاؤوا من أقطار الأرض و﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾،

وكذلك "**المسلمين**" كلهم جاؤوا ملبين لنداء **إبراهيم** عليه السلام، قادمين إلى بيت الله الحرام في مكة، التي رفع قواعده **إبراهيم** عليه السلام وهذه الفئات وتلك الأفواج البشرية قدمت استجابة لنداء أبينا **إبراهيم** عليه السلام، **فالحج** كفريضة ليست مجرد أداء مناسك فردية تخص المسلم وعلاقة بين العبد وربه، إنما "**الحج**" عبادة وحركة وسياسة.

و"**الحج**" بما يمثله من مناسك يرمز إلى الكثير من القضايا التي من الواجب على الأمة أن تنتبه لها، وتأخذها كوسائل تربوية مهمة وهي تواجه أعدائها في واقع الحياة، فعندما يقول الله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ [الحج: 28] نُدرك أنها منافع مُتنوعة ومُتعددة، وجاءت هنا نكرة لتدل على أن الحج فيه منافع للناس؛ منافع تربوية واجتماعية وعلمية وسياسية وثقافية وفردية وجماعية، فما "**الحج**" إلا مؤتمرٌ عالمي يحضره ملايين المسلمين من كل أنحاء العالم، بكل ألوانهم ولغاتهم وطوائفهم وحركاتهم. ففي كل عام يُلبي ملايين المسلمين هذا النداء، وتكون المنافع المتعددة، ويحصل التبادل الثقافي والعلمي والمعرفي بين أفراد وجماعات ودول وشعوب المسلمين.

"**فالحج**" ليس عبادة فردية وإن كانت المنافع تتضمن الحالة الفردية فيعود المسلم كما ولدته أمه حيث لا رفث ولا فسوق ولا جدال، فيُغفر له جميع ذنوبه، ففي "**الحج**" كذلك تتحقق عالمية الإسلام وأهميته وإنسانيته،

وفي الحج كذلك يؤكد فيه المسلمون على عهدهم وثباتهم وارتباطهم برسالة الإسلام وبتلك القواعد التي رفعها **إبراهيم** عليه السلام.

وفريضة "**الحج**" تُمثل قانون الانجذاب للمركز وللمصدر، فالأرض تدور حول الشمس، فكل ما في الكون يدور حول مركز معين وينجذب لنقطة معينة، ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: 40]، فكل يسبح في فلكه ومداره طوعاً أو كرهاً، وبما أن الإنسان هو الخليفة الذي جعله الله في الأرض، فمجيء الإنسان المسلم إلى بيت الله الحرام رغم كل هذه الاختلافات والأبعاد يمثل بمجيئه قانون الانجذاب، أي أن الإنسان أرقى خلق الله يدور حول بيت الله ويسلك مدار العبادة له وحده، وفي كل عام يحضر من يُمثل الإنسانية من الناس، يأتون برضاهم وبشوق كبير كي يُجسدوا حقيقة الإسلام وحقيقة التوحيد والطواف حول الكعبة حول المركز.

فالحج مؤتمر إسلامي عالمي يُجسد العبادة والحركة والسياسة، فقد أعلن رسول الله ﷺ بياناته السياسية وعلاقاته الدولية ومنطلقاته العقائدية في "**الحج**"، فأعلن البراءة من المشركين وأعلن أن لا يطوف بالبيت عُريان، وخطبته الشهيرة في حجة الوداع كانت أرقى ما يكون البيان السياسي الفكري الذي يُؤسس لحضارة إسلامية تدوم قرون طويلة.

وسورة التوبة تتحدث عن الجهاد في سبيل الله، وطبيعة العلاقات مع جميع المعسكرات غير الإسلامية.. كذلك هناك آيات تحذر المسلمين ألا تتحول فريضة "**الحج**" إلى عبادة فردية وتُختزل فيها مناسك محدودة.. بل الآيات كثيرة التي تؤكد على أن يبقى "**الحج**" هو تلك الصورة واللوحة

الفنية التي تحتوي على كل قيم الدين من وحدة وترابط وتعارف وتوحيد وتعاون وتشاور وتخطيط وانطلاق من جديد، وعهد مع الله على المضي قُدماً من أجل نصرة الإسلام، حتى أن القرآن الكريم يعقد مقارنة بين من يعتبر أن "**الحج**" سيبقى للحجيج فقط، وبين من يعتبر الإسلام جهاداً ودعوة وعقيدة، قال تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ﴾ [التوبة: 19].

فالحج يجب أن يتعامل معه المسلمون كما تعامل معه رسول الله ﷺ، فهو خير من جَسّد الإسلام على أرض الواقع، فبالإضافة إلى أنه عبادة فردية تربي المسلم على الإخلاص وعبادة الله وحده لا شريك له، هو أيضاً اجتماع للمسلمين يتشاورون فيه ويتبادلون العلم والثقافة والفكر، ويناقشون أوضاع المسلمين وشعوب المسلمين في كل مكان، فلا يوجد دين ولا فكر ولا حركة في العالم يجتمع أعضاؤه وأنصاره كل عام بهذا الكم الضخم، ومن كل أقطار العالم إلا الإسلام؛ دين الوحدة والتعاون والتغيير، "**فالحج**" يجب أن يظل يؤتي أكُله كل حين، وكل عام بما يتمخض عنه من قرارات ومساعدات وتبادل ثقافي وعلمي ومعرفي.

فلو اجتمع في "**الحج**" القادة والعلماء والمفكرون والفقهاء والساسة والمجتهدون من المسلمين في كل عام في موسم "**الحج**"، وصاغوا للأمة فكرها ومنهاجها ورشّدوا هذه الصحوة التي تعاني من الجروح في العمق.. لكن هناك لا شك تعمّد في أن يبقى موسم "**الحج**" عبادة فردية

مختزلة بعيدة عن الاهتمام بشؤون المسلمين، فلو تتبعنا مناسك "**الحج**" بداية من الإحرام وانتهاءً بالأضحية نجد أن هذه المناسك ما هي إلا رموز ؛ الهدف منها تحقيق الانحياز والانتماء الحقيقي للإسلام، **وهنا سنقف قليلاً عند كل منسك من المنسك علنا نُطل بآفاق تربوية ومعنوية يُهدف منها تربية الأمة تربية سليمة وصحيحة:**

[1/7] ملابس الإحرام:

هو ذلك اللباس الأبيض غير المخيط وغير الملون، قطعتان من القماش تلف الأولى الجزء العلوي من الجسم، والثانية تلف الجزء السفلي، وهنا لا أحد يلبس غير ما يلبس جميع الناس الحاضرين لبيت الله الحرام، فالملك والرئيس والحاكم يلبسون كما يلبس الفقير والمحكوم والمملوك.. لا فرق بين كل الناس في اللباس، فلا رُتب ولا نياشين ولا درجات ولا ألوان ولا طرابيش ولا عمامات ولا ما يُميزك عن غيرك.. في هذا اللباس تذوب كل أنواع الألبسة التابعة للطوائف وللدول وللشعوب وللهيئات، فاللباس في بيت الله الحرام لباس واحد ومميز يلبسه جميع الناس دون تمييز، وإن دل ذلك على شيء فإنه يدل على أن الإنسان لا يملك في هذه الدنيا إلا التقوى والعمل الصالح ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: 26].

ويدل على العدل، فـ (الناس سواسية كأسنان المشط) حتى في اللباس فكم يشعر الإنسان بعدل الله تعالى عندما يرى هذه الملايين تلبس لباساً

واحداً، أبيض كالثلج.. هكذا حتى اللون الأبيض للدلالة على أن رسالة الإسلام بيضاء نقية ناصعة لا غبار عليها فقد تركنا على (المحجة البيضاء).

كذلك هذا اللباس الموحد يُشعرك بمولدك وبوفاتك ورحيلك عن هذه الدنيا، فعندما يولد الإنسان يُلف بقطعة قماش بيضاء، وعندما يموت يُلف كذلك بهذه القطعة البيضاء، فالحج يأتي في منتصف الرحلة ليقول لك: هنا توقف.. يجب أن تلبس هذا اللباس، وتَذكر أنك عندما سترحل عن الدنيا ستكون بهذه الهيئة.

وكذلك هذا اللباس يُذكر الإنسان بأنه ربما تتغير ظروف الحياة معه ويتقلب بين مصائبها وابتلاءاتها ومحنها، ويتعرض لابتلاء ما فيخلع ملابسه ويُغيّر لبسه سواء كانت "بدلة" أو دشداش أو بنطال أو ثوب مزخرف، ففي لباس الإحرام درس في التقشف والاستعداد لاستقبال أي محنة أو ظرف صعب، ففيه تربية للنفس على أن تتحدى الظروف والمحن ولا تجزع ولا تتنازل ولا تتراجع.

[2/7] التلبية:

وصيغتها: **(لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك)** فهذه التلبية جاءت بهذه الصيغة كما ورد عن الرسول ﷺ استجابة لنداء **إبراهيم** عليه السلام حيث أمره الله تعالى

أن يؤذن في الناس ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾.

إذاً الناس القادمون "**للحج**" بعدما يُلبسون ملابس الإحرام يبدأون بهذا الهتاف الموحد، وهذه التلبية الواحدة، ولسان حالهم يقول: أنت يا رب ناديتنا.. وها نحن نُلبي نداءك في كل أحوالنا.. جئنا ملبين لأمرك.. لبيك يا رب في الحج والصلاة والصيام والزكاة.. لبيك في الجهاد والدعوة والتعاون.. لبيك يا رب في شؤوننا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.. لبيك في كل شيء؛ من أصغر أمر إلى أكبر أمر.. لبيك يا رب في كل الأوامر.. هذه التلبية والاستجابة لك وحدك، لا نُشرك بك شيء.. فكم من هيئات دعتنا.. وكم من ملوك ورؤساء دعونا.. وكم من البشر دعونا.. لكننا لم نُلب أحداً إلا أنت، لم نذهب لأحد ولم نسمع لأحد أمره إلا إذا كانت الاستجابة له تُرضيك.. فالحمد لك يا رب، فأنت الذي هديتنا ووفقتنا للمجيء إلى بيتك الحرام وجعلتنا نُلبي، فالحمد لك وحدك والْمُلك لك وحدك، أنت الملك المتصرف في جميع الخلق وفي هذا الكون الواسع، لا نحمد أحداً سواك، ولا نُقر بمُلك إلا لك يا رب، فأنت الحميد المجيد، وأنت الملك وأنت ملك الملوك، والتلبية والاستجابة والحمد كل ذلك لك، لا نُشرك بك شيئاً، لا نُشرك بك مَلِكاً آخر أو رئيساً أو هيئة أو حجراً أو كوكباً أو فكراً آخر..

فالتلبية هذه إعلان الإخلاص لله تعالى في القول والعمل، وإعلان الانحياز الكامل لله تعالى جل جلاله، ولا أحد يُردد غير ذلك، لأن الناس كل الناس مأجورين بهذا الشعار قولاً وعملاً.

[3/7] الطواف:

من مناسك "**الحج**" كذلك الطواف بالكعبة، فالطواف حول الكعبة سبعة أشواط طواف الزيارة أو طواف القدوم أو طواف الإفاضة أو طواف الوداع، فما معنى أن يطوف المسلم حول الكعبة؟ حول البيت الحرام؟ ويبدأ بالطواف من الحجر الأسود بتقبيله أو الإشارة إليه، **فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:** (إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أنني رأيت رسول الله ﷺ يُقبلك ما قبّلتك).

وذلك للتدليل على التأسي بالرسول ﷺ في الصورة والسيرة والسريرة، واعتبار ما يصدر عنه ﷺ يجب علينا أن نقتدي به، وإنه عهد وقسم وتجديد لهذا العهد سبعة مرات أن نبقى نطوف حول بيتك الحرام بما يحمل هذا البيت من قيم توحيد وإسلام وإيمان، وكأن الذي يطوف بالكعبة يُعاهد الله أن يبقى يدور في دائرة الإسلام، وأن يبقى تحركه وعمله ضمن هذه الدائرة لا يخرج عنها وعن إطارها.

وهذا الطواف يُجسد منهج الرسول ﷺ الذي أكد فيه أن السلطان والقرآن سيفترقان، وعلينا أن ندور مع القرآن حيث دار؛ نعم.. يا من أعلنتم إسلامكم، إذا افترق القرآن والسلطان والحكم فدوروا مع القرآن؛

فهو الحق.. هو الباقي الذي لا يموت، فالطواف فيه معنى التأكيد على عدم الخروج من دائرة الإسلام والتوحيد كذلك.. عندما يقدم الملايين يقومون ويُصلون بهذا البيت فهو بيت الله الحرام، المساجد كثيرة في العالم وبأسماء مختلفة؛ فهذا المسجد لهذه القبيلة، وهذا على اسم هذا الشخص، وهذا المسجد لهذه الطائفة أو تلك، أو لهذا المذهب أو ذاك، أما البيت الحرام فهو بيت الله العالمي.. لكل العالم.. ليس لقبيلة أو بلد أو لطائفة، فهو لله يقصده كل العالم، فقط هو المسجد الأول في العالم الذي يؤمه الجميع، وكل المساجد في أنحاء الأرض تتجه نحوه، فهو الذي يقودها نحو الله تعالى ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: 144]، والذي يحضر لبيت الله الحرام يُصلي ويطوف فقد أصاب كبد الحقيقة فالطواف حول الكعبة يؤكد عالمية الرسالة الإسلامية وحقيقة التوحيد وتساوي الناس، وكلما طاف المسلم بالكعبة أكد على بقائه متحركاً في ظل الراية الإسلامية أو الدائرة الإسلامية العالمية.

[4/7] السعي بين الصفا والمروة:

أيضاً السعي بين الصفا والمروة منسك من مناسك "**الحج**" ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 158].

والسعي فيه معنى البحث عن الشيء، كان ذلك اقتداءً بالسيدة هاجر وهي تبحث عن ماء لابنها الصغير؛ فتروح وتجيء وتبحث، فالسعي مشياً وسيراً باتجاه هدف مُعين، ليس حركة عبثية بلا فائدة، ففي السعي نُحدد الهدف ونُصمم عليه ونسير نحوه حتى نصله، وهذا يُعلمنا في حياتنا وبكل تفاصيلها أن نحدد أهدافنا التي نسعى إليها؛ من الهدف الصغير القريب إلى الهدف الكبير البعيد، ومن يتحرك بلا هدف في هذه الحياة تتجاذبه الأهواء فينحرف عن الخط المستقيم، فكما أن الإنسان يجب أن يكون له قاعدة ينطلق منها كذلك عليه أن يُحدد الهدف الذي يصبو إليه.

كذلك السعي بين الصفا والمروة فيه معنى **(إنا لله وإنا إليه راجعون)** فهو يروح إلى المروة ثم يعود إلى الصفا، وكأن هذه الحياة قصيرة لا تعدو أن تكون مشواراً صغيراً قصيراً، ذهاباً وإياباً، وهذا المشوار لا يخرج عن إرادة الله، بل أنت تسير في الدنيا في مسيرة من الله وإلى الله، فمن يسر هكذا يسر بخطوات الواثق المطمئن بالله تعالى، فالسعي بين الصفا والمروة تأكيد على جدية الحياة والعمل الدؤوب فيها، والسعي من أجل هدف نبيل يخدم الإسلام والإنسانية، والعيش في هذه الحياة والإصرار على تحقيق ذلك الهدف وعدم اليأس مهما كانت الظروف صعبة وجلقة.

[5/7] الوقوف بعرفة:

يقول عليه السلام: **(الحج عرفة)** فالوقوف بعرفة ركن "**الحج**" الأكبر، ومن لا يقف لا يُقبل حجه، فكل الحاضرين إلى بيت الله الحرام يذهبون

وينطلقون إلى صعيد عرفات للوقوف عليه في زمن واحد ومكان واحد ولباس واحد وهتاف واحد ومشاعر واحدة، إن الوقوف على عرفة بهذه الكيفية يُذكرنا بيوم القيامة، فالناس تُحشر كلها منذ آدم عليه السلام إلى آخر إنسان على هذه البسيطة، وكأن يوم عرفة يوم قيامة مُصغر، الناس يُرددون هذا الشعار الخالد **(لبيك اللهم لبيك)** ويدعون الله ويستغفرون، ويقف الحجيج وكأنهم يقفون أمام الله يوم القيامة، هذه هي المشاعر التي يشعر بها الحجيج.. في الوقوف بعرفة يستشعر الإنسان فقره وافتقاره إلى الله وحاجته إليه، ولغفرانه ولرضاه، ويستشعر عظمة الله حيث تتجلى للحاج حكمة الله وعظمته وإرادته، وبأن هذه الوقفة وقفة الوداع ثم بعدها الانتقال إلى الدار الآخرة، ويجتهد في ذلك اليوم أن يعود كما ولدته أمه وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وليس صدفة أن تكون أول آية من سورة الحج: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: 1] فالحديث عن الساعة واليوم الآخر فيه إشارة إلى أن الحج ومناسكه وخاصة الوقوف بعرفة يُذكرنا بذلك اليوم العظيم الذي يقوم الناس فيه لرب العالمين.

[6/7] الإقامة بمنى ورمي الجمرات:

ويقال له "**رجم إبليس**"، وليس إبليس كجسم، ولكنها رمزية لأن كل مناسك الحج ترمز لشيء ما، وإلى ماذا يرمز رجم إبليس؟ إنه تعهد من هذه الأفواج البشرية أن تبقى ترجم إبليس عندما تعود لوطنها ولبلادها،

فإبليس ليس فقط هناك في أرض الكعبة، ولكن إبليس وأتباعه يتواجدون في كل مكان و زمان، والصراع بين أتباع الرحمن وأتباع الشيطان مستمر، فرجم إبليس فيه معنى أن نبقى على خط مقاومة إبليس ومشروعه وأتباعه في كل زمان ومكان، فالحاج عندما يرجم إبليس في موسم الحج فهذا عهد منه أنه عندما يعود لوطنه أن يرجم الأبالسة مهما كانت مسمياتهم، ويرفضهم بكل الوسائل، فيجب أن يُرفض إبليس ويُرجم.

إن رجم إبليس فيه معنى الثورة على الأبالسة، فلا لقاء مع الأبالسة ومع أتباعهم، فقط اللغة التي يجب أن نُخاطبهم بها هي لغة الرجم والرفض والثورة، وهكذا رجم إبليس في الحج يُحدد مهمة سياسية واجتماعية لا تسمح للأبالسة وأتباعهم بنشر الفساد والمنكر بين الناس.

[7/7] الأضحية:

أثناء تأدية الحاج المناسك عليه أن يُضحي بعد إتمام المناسك، أي يذبح لله تعالى، والأضحية لها شروط بحيث تكون سليمة من الأمراض وتُقدّم لله وبنية التقرب إليه لأن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، ففي الأضحية تحرير من البخل، وإراقة الدم والتعود والتربية على بذل المال والتصدق على الفقراء والمساكين والمحتاجين، لقوله تعالى: ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ﴾ [الحج: 37]، فالمسلم هنا يُساهم بهذا المال أو بلحم هذه الأضحية من أجل الفقراء من أمة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، وبذلك يكون منسك الأضحية جزء من مناسك الحج بالبذل

والعطاء والتضحية والصدق والتربية على التعاون ومشاركة المسلمين همومهم وفقرهم.

بقي أن نقول: أن مناسك "**الحج**" كلها ما هي إلا تجسيد وبشكل عملي لرسالة الإسلام العظيم في اللباس والشعار والتوحيد والتعاون والاجتماع والتشاور والوحدة والتضحية والمنهج، فلو أخلصت النيات وتوحدت المقاصد واغتُنمت مناسك "**الحج**" كما ينبغي لما كان حال المسلمين هكذا، ولتغيرت أوضاع الأمة الإسلامية للأفضل والأحسن.

وهكذا يكون "**الحج**" أضخم وأكبر مصطلح نادى به **إبراهيم** عليه السلام بحيث تجسدت فيه كل المصطلحات العامة التي تطرقنا إليها فيما تقدم، وبدا **إبراهيم** عليه السلام وكأنه يُنادي بكل الناس عبر التاريخ وكل الملل والنحل والأمم والآباء والأجداد ويؤسسهم على قواعد الإسلام والتوحيد العظيم لينطلقوا وهم يعرفون تماماً إلى أين مصيرهم.

المبحث السابع

أخلاق إبراهيم عليه السلام

عندما نتحدث عن أخلاق **إبراهيم** عليه السلام فإننا نتحدث عن جميع الأخلاق الحميدة، فهو عليه السلام صُنع على عين الله، فهو إذاً كما جميع الأنبياء ولكنه يتميز بأخلاقه الشاملة، أي التي لا تخص إنسان بعينه وإنما تدعو جميع الناس للتمسك بها حتى الكافرين، وهذا يعني أن أخلاقه تصل إلى قمة الأخلاق الإنسانية، وهي ثابتة لا تتغير بتغير الزمان والمكان وبتطور الإنسان في مجالات الحياة ووسائل تقدمه، ونحن هنا لا نريد ذكر أخلاق **إبراهيم** عليه السلام كلها وإنما نريد شرح بعض الأخلاق العامة، فهي من الثوابت الأخلاقية الإنسانية العامة، كان **إبراهيم** عليه السلام يشترك مع خاتم الأنبياء محمد عليه السلام في الخطاب والشعار والعقيدة والشريعة والأخلاق وفي شمولية الرسالة وفي التربية على نموذج الأممية، فلا مكان في رسالة **إبراهيم** عليه السلام للجزئيات والتفاصيل الصغيرة، وإنما كلها أصول وقواعد وأخلاق عامة؛ وكأنها تؤصل للأمة بل للبشرية جمعاء، وقد كانت هذه الأصول والأخلاق والعقيدة والرسالة قد تجسدت في **إبراهيم** الأمة والإمام والقدوة.

[1] خلق الصدق من خلال الدعوة:

الصدق خُلق الأنبياء الأول، فهم يُبلغون عن الله ولا يزيدون شيئاً أو يُنقصون، يؤدون ما أمروا به على أكمل وجه، فكانوا هم أصدق الناس، بل لم يُعهد عليهم كذب لا قبل الرسالة ولا بعدها، ولذلك سُمي رسول الله ﷺ بالصادق الأمين، وكذلك سيدنا **إبراهيم** عليه السلام قال الله تعالى عنه: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: 41]، فالصدق خلق عام يسلكه الإنسان المؤمن والكافر، لا يستطيع أحد من الناس أن يقلب الصدق كذباً، **وفي الحديث: (إن الصدق يهدي إِلَى البر وإن البر يهدي إِلَى الجنة؛ وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند اللَّه صديقا، وإن الكذب يهدي إِلَى الفجور وإن الفجور يهدي إِلَى النار؛ وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند اللَّه كذاباً)** [متفق عليه]، فالصدق خُلق إنساني رفيع يتجلى عند كل إنسان مهما كان دينه.

فإبراهيم عليه السلام كان **(صديقاً)**، وبرز الصدق في كل تفاصيل حياته، في دعوته وجهاده، في مقولاته وتعامله مع الناس، في نظره وسمعه وتفكيره وعبادته وفي عمله حتى كان صديقاً كثير الصدق.. نموذج صادق يؤسس للحياة الإنسانية في صدقه بالانسجام مع نفسه ومع رسالته، فمن خلال صدقه عليه السلام يُعلم الناس الصدق في كل المجالات وعلى جميع الأحوال والظروف، فالصدق حالة إنسانية نفسية عامة، يتربى عليها الإنسان الصغير والكبير والرجل والمرأة، والعالم والجاهل، الأب والولد.. والكل والجميع.. فهي إذاً صفة ملتصقة بالشخصية الإنسانية السوية، وأن

عكسها مدمر وقاتل، فالشخص أو الأسرة أو الحركة أو المجتمع الذي لا يتربى على الصدق يفقد أعز وأعظم شيء في حياته، لأن الصدق أساس وأصل لصفات كثيرة في الإنسان، وكذلك الكذب يبنى عليه الكثير من الأخطاء والمعاصي والذنوب و"المؤمن لا يكذب"، والله عز وجل يأمر المؤمنين بالتقوى وأن يكونوا في صف الصادقين فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: 119]، في كل الأحوال والظروف والزمان والمكان، كن أيها المؤمن صادقاً (وكونوا مع الصادقين) أي من الصادقين؛ لأن الصدق يوصل إلى الجنة، وفي الحياة الصدق يوصل للانتصار وللنجاة وللخير، فالصدق رسالة للناس جميعاً وهو خُلق يجب تجذيره في نفوس الناس وعقولهم ليُصبح من تكوينهم النفسي وبالتالي ينتقل حتى يُصبح خُلق اجتماعي يُصيغ هوية المجتمع بما فيه من مواطنين ورؤساء وحكام، وهذا يتطلب نماذج **كإبراهيم** الأمة عليه السلام.

[2] خلق التعلم من خلال ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ (خلق البحث عن الحقيقة والتفكر في خلق السماوات والأرض والتعلم):

إن الأنبياء تعلموا من الله تعالى مباشرة، فعلمهم من الله، ولا يحتاجون من أحد ليعلمهم أو يأخذوا عنه العلم، ولذلك رأينا أن الأنبياء كلهم علمهم الله، وخلق التعلم لديهم هو لدنّي وليس اكتسابياً، وإن حدث في بعض الأحيان أن تعلم بعض الأنبياء على يد رجل صالح كما تعلم موسى عليه السلام على يد سيدنا الخضر، ولكن هذا الاكتساب كان يأتي من أجل تعليم الناس

حزمة من القيم الأخلاقية في الصبر والأدب ومعرفة الحقيقة، فخلق التعلم بالنسبة **لإبراهيم** عليه السلام هو خلق عام من الله تعالى، وهذا يخص كل الناس ولا يقتصر على فئة أو جماعة أو طائفة، فقد قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: 5].

ونحن هنا لسنا بصدد الحديث عن التعلم بأنواعه وأشكاله وتاريخه، فالمجال لا يتسع ولكننا نريد التأكيد على أن خُلق التعلم هو أيضاً من الأخلاق الإبراهيمية العامة، والتي أُمر بها كل الناس ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ [محمد: 19].

فعلم **إبراهيم** عليه السلام عام وشامل ولدني، ولكنه من خلال بعض الأحداث يعلمنا ويُعلم كل الناس الذين بعده.. فقد خاطب قومه وبصورة مباشرة واختيارية، ويسألهم: هل هذا النجم ربي؟؟ والقمر؟؟ والشمس؟؟ ثم بعدها تأفل وتغيب ويُعلن ولاءه لله تعالى وحده لا شريك له، وهو الإله الحقيقي القادر الذي يستحق العبادة، ليست هذه النجوم التي تأفل وتغيب.. إنه تعليم الناس من خلال السؤال والجواب في تجربة عملية بسيطة وواضحة: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً﴾ [مريم: 43].

فالدعوة ترتكز على العلم، والداعية يجب أن يكون على بصيرة وإلا فلا معنى لدعوة ولا لشخص ولا لدولة إن لم تمتلك سلاح العلم، والعلم لا يقتصر على جانب من جوانب الحياة، إنما العلم هو العلم للبشر والناس، وفي كل شيء لأنه يفيد حياتهم فأي حركة في الحياة، وأي عمل وأي

جهاد يجب أن ينطلق من علم، فالعلم أصل من أصول استمرار الحياة البشرية، فإذا تفحصنا سيرة **إبراهيم** عليه السلام أو الآيات التي تحدثت عنه في كتاب الله العزيز نجدها تتحدث عن العلم، وبذلك يكون التعلم، هذا الخلق الذي يعني القوة والحق والهداية، بل يجب أن يقود التعلم لهذه الأمور، يقود للحق وللقوة وللتطور وللهداية، فالتعلم صفة لكل من يتعامل مع الحياة الدنيا أنها دار ممر.

فلنسعَ لهذا الممر شكلاً ومضموناً، ولا يكون ذلك إلا بالعلم، فبالعلم يبقى الصراع على أشده فلا يستطيع الفراعنة استخفاف الشعوب، وبالعلم تقوى النفس وتتعزز الثقة بانتصار القيم، فالعلم يُطلب ويكون أصلاً من أصول الحياة، ليس لمجرد العلم بقدر ما يُطلب من أجل الأهداف العظيمة التي تتحقق فقط بالعلم.

[3] خُلُق الرحمة والحلم من خلال "سلامٌ عليكم":

وكذلك خُلق الرحمة لكل الناس.. فلا تقتصر على شخص مُعين أو فئة معينة، فالرحمة صفة إنسانية ما أن تتجذر في الإنسان حتى تنعكس خُلقاً في السلوك والأقوال والأفعال وفي حركة الإنسان في الحياة.

فالرحمة من صفات الله تعالى، ومن أسماء الله الحسنى (الرحمن الرحيم)، وقد تجسدت هذه الصفة في شخصية **إبراهيم** عليه السلام، في أعماله وجهاده ودعوته، فقد وصف بأنه ﴿أَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾، وفي أثناء دعوته لأبيه بأن يتبعه وينحاز لرسالته يردّ عليه أبوه: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [مريم: 46]،

فالابن يدعو الأب للنجاة وللإسلام وللانحياز لرسالته، والأب يردّ بالرجم والطرد، فيردّ **إبراهيم** عليه السلام: ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [مريم: 47]، فتظهر الرحمة في سلوكه، وتتجلى في أظلم اللحظات وأشدها صعوبة.. فتسيطر عاطفة الرحمة على عواطفه وتصرفاته، حتى تصبح الرحمة في حياته نهجاً وطريقة، ويكون الطابع الأغلب، بل كل المسلكيات والتصرفات تحفها الرحمة..

والرحمة خُلقٌ عام بمعنى أنه يندرج في إطارها الكثير من الأخلاق كالصفح والعفو والمسامحة والإحسان والإنفاق والتحدي والإخلاص والاتحاد والتعاون.. إن الرحمة لا تخص المسلم إنما هي للإنسان أو لكل الناس، فتجد إنساناً لا يعرف الله ولكنه شفوقاً متسامحاً يرحم الخلق، لكن المسلم أشد رحمة وأشد حباً لله تعالى، فالإسلام يجذر فيه خلق الرحمة ويُعممها بحيث يُصبح المسلم لا يعيش لذاته وإنما لأمته وللناس وللبشرية، فلا يعتدي ولا يثأر لنفسه ولا ينتقم لذاته، إنما يسير وفق منهج دفاعاً عن الحق والناس.

واليوم نحن نرى القتل والذبح والهرج والمرج والحروب التي ليس لها معنى، كل ذلك يحدث لأن البشرية تفقد خلق الرحمة التي تجلت وتجسدت في شخصية **إبراهيم** عليه السلام، وقست قلوب الناس حتى بدت كالحجارة أو أشد قسوة.

فما أشد الحاجة في هذا الزمن إلى خلق الرحمة والحلم والتخلق بهما، وقد شرع الجهاد أصلاً من أجل التصدي للقسوة الجامحة التي تؤدي إلى الحروب وهذا الاقتتال الذي يُغطي مساحات الكرة الأرضية ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ﴾ [المائدة: 64] كلما أشعلوا حرباً تتأسس على الظلم والقسوة واضطهاد الشعوب يُسخر الله عز وجل ثلة من الناس ليُطفئوا هذه الحرب المستعرة بنور الرحمة، وإنقاذ الناس من الظلم والاستبداد والاستعباد.

فخلق الرحمة يقتضي أن يكون متغلغلاً في النفوس والعقول والقلوب، ويُغطي كل مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدولية، فلا معنى للحياة دون الرحمة لأن عكسها سيكون قانون الغاب والظلم.

فالله عز وجل وبرغم أنه يتصف بأنه (الجبار) و(المتكبر) و(المنتقم) و(العزيز) ، إلا أن رحمته غلبت عذابه، ورحمته شملت صفاته الفضلى (إن رحمتي سبقت غضبي). و(رحمتي وسعت كل شيء).

ومن هنا كان نداء **إبراهيم** عليه السلام لأبيه ولكل الناس الذين آذوه في دعوته: ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ [مريم: 47]، فيتحرك بشفقة ورحمة وحزن على الناس وليس بدافع الانتقام والتشفي.

[4] خلق الكرم من خلال ﴿فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾:

الكرم تحلل من البخل وحب الذات، وهي صفة جميلة ما إن يتحلَ بها الشخص أو الجماعة حتى يُكتب لها النجاح والتوفيق والسداد، فالكرم من

الخصوصية ونشر قيمة الجماعة والوحدة بحيث يسود الشعور والمساواة والعدل والإيثار، والكرم صفة شاملة عامة تتدرج في إطارها الكثير من الصفات كالتعاون والعدل والتخلص من حب الذات والجماعة والتبرع وإطعام الناس والمساواة، فعندما نقول: إنسان كريم، لا نقصد بذلك أنه يُطعم الطعام ويتبرع بماله وحسب، وإنما كريم في صفاته فهو إنسان شهم عنده المروءة والشجاعة والعدل والشعور بالمسؤولية ويخدم غيره من الناس..

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

فهو _أي الكريم_ وفي لا ينسى من أعطاه ومن خدمه ومن أكرمه، فالكريم صفة جامعة، قال تعالى على لسان بلقيس ملكة سبأ: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ [النمل: 29]، فهذا الكتاب الكريم بعيد عن النقص وعن التحريف وعن الخزعبلات والخرافات، فالكتاب كريم كامل مرتب، كل ما فيه يحتوي على القيم والأخلاق والفائدة للناس جميعاً، فعندما يتصف **إبراهيم** عليه السلام بالكرم من خلال إسراعه في إحضار "العجل الحنيذ" ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاء بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الذاريات: 26]، وهو لا يعرفهم، فلم يكونوا من جنس البشر، وهذا يدل على صفاء نفسه وكرمها وطهارته اللامحدودة.

فقد قدم لهم أجود ما يُمكن أن يُصنع آنذاك من الطعام، فالكرم الإبراهيمي يقتضي التمسك به عفة للنفس وتزكية وطهارة وإكرام الناس

في كل الظروف والترفع عن التوافه والصغائر والغنى والقناعة، وهكذا.. فالكرم قناعة وزهد وغنى وتواصل مع حوائج الناس وانتشار للفضيلة، وهو كذلك شكر لله تعالى على نعمه الكثيرة.

فإذا أرادت حركة _أو شخص أو حزب_ السيادة والانتشار فلابد أن تتربى على خُلق الكرم، فالحركة التي تُقدم أبناءها قرابين وتكرَم بدمائها الزكية لوطنها وأرضها ودينها لابد أنها ستسود وتحكم لأنها تستحق ذلك، وأن تكون طليعة الأمة والناس، لأن من يكرم بدمه وماله وجهده ويُقدم الغالي والنفيس ويُضحي من أجل الغايات الإسلامية الكبرى يكون قد أصبح إماماً في الدين والدنيا.

وهكذا فخلق الكرم.. سيادة.. وريادة.. وطليعة.. وكرامة.. وإيثار.. وتضحية تنعكس آثاره على حياة الناس فتُغيرها للأحسن.

[5] خلق الوفاء من خلال ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾:

كل الأخلاق التي اتصف بها سيدنا **إبراهيم** عليه السلام شاملة وتحتوي على الكثير من المفردات والعناوين التفصيلية، فخلق الوفاء أيضاً خلق إنساني، ويعني فيما يعنيه الالتزام بتبليغ رسالة الإسلام وبشرحها للناس، والالتزام بالعهود والاتفاقيات والمواثيق، فهي تناقض الخداع والكذب والمؤامرات والتآمر.. الوفاء صفة شفافة لا تعرف الغموض ولا الظلامية، فهي تحقيق لأمر الله تعالى القائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: 1]، أمر رباني بالوفاء مهما كان أمر الوفاء بسيطاً أو متعلقاً بمسألة أو قضية بسيطة،

فالمسلم يجب أن يكون وفياً في رسالته، وفياً لله تعالى في تبليغ الرسالة، ووفياً لرسوله ﷺ بالسير على خُطاه، ووفياً لأمّته بخدمتها وتوحيدها والدفاع عنها، ووفياً لأسرته بإرشادها والإنفاق عليها، ووفياً لزوجته في حبه لها والمحافظة عليها، ووفياً لشعبه ووطنه.. وفياً في كل شيء، فإذا كان الإنسان وفياً لله تعالى يكون وفياً في كل أمر من أمور الحياة.

فالوفاء صدق مع جماهير الناس، فمن يعد الناس بالغنى والتقدم والانتصار والازدهار عليه أن يفي بوعده، **فإبراهيم** عليه السلام وفّى بعهوده، فكان وفياً في الالتزام بأوامر الله تعالى وتبليغ الرسالة التوحيدية، وكان وفياً للناس، وكان وفياً في إكرامه ودعوته وجهاده ومعاملاته، ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء: 34].

فقد أكد الإسلام على الوفاء بالعهد وشدد؛ لأن هذا الوفاء مناط الاستقامة والثقة والنظافة في ضمير الفرد وفي الحياة الجماعية، وقد تكرر الحديث عن الوفاء بالعهد في صور شتى في القرآن الكريم والحديث الشريف؛ سواء في ذلك عهد الله وعهد الناس، عهد الفرد وعهد الجماعة وعهد الدولة، عهد الحاكم وعهد المحكوم.

وبلغ الإسلام في التاريخ شأناً عظيماً في الوفاء بالعهد لم تبلغه البشرية إلا في ظل الإسلام (الظلال)، وبذلك لا يمكننا أن ننتهي من الحديث عن الوفاء إلا عندما نشعر بأنه يدخل في كل تفاصيل الحياة.. ويُصبح خُلقاً

رئيسياً يتعامل به الناس أفراداً وجماعات، إذ بدون الثقة والوفاء لا تستقيم حياة الناس كما يُريدها الإسلام والعقل السليم.

حتى أن الإسلام يوجب على المسلمين الالتزام والوفاء بالعهود ولو أنها عُقدت مع الكفار والمشركين والأعداء، ولم يذكر لنا التاريخ حادثة واحدة خان فيها المسلمون عهدهم ولم يوفوا به.

[6] خُلق تعزيز الإيمان من خلال ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾:

من الطبيعي أن أي إنسان يرتكز على عقيدة أو فكر مُعين وهو ينطلق نحو هدفٍ ما في حياته تراه يجد ويجتهد ويثابر ويُعزز إيمانه بهذه الفكرة، فيبذل لها وقته ومهجته ودمه، لأن أساس التغيير في الحياة هو الارتكاز على عقيدة وأيدلوجية وفكرة شاملة، فإذا كان هذا الأمر يحدث في حق أي شخص عادي يتبنى فكرة وربما تكون فكرة خاطئة أو مضطربة أو وهمية فما بالنا **بإبراهيم** عليه السلام وهو يتأسس على عقيدة التوحيد، وينطلق كأُمة للعالم أجمع؛ ألا يحتاج لتعزيز الإيمان والتشبث بهذه الفكرة وهي فكرة الإيمان بالله جل جلاله؟؟ فقد طلب **إبراهيم** عليه السلام من ربه أن يُريه كيف يُحيي الموتى، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: 260]، فهنا يطلب من الله تعالى أن يُريه بالتجربة وبالعين كيف يُحيي الموتى، فيسأله الله تعالى _وهو أعلم_: أولم تُؤمن يا **إبراهيم؟** فيرد عليه السلام: بلى.. أنا

مؤمن ولكني أريد أن أرى، أن أشاهد عملية إحياء الموتى؛ فيزداد إيماني وتتعزز قناعاتي، فكلما تطابق الإيمان بالواقع وكلما تُرجم كسلوك وكأخلاق وكلما كان صحيحاً ومستقيماً ومنتشراً ويجوز على القناعة والتغلغل في العقول والنفوس والقلوب، فالإسلام عندما يطبق كجهاد وكأخلاق وكشريعة على أرض الواقع يكون أجدى بالامتثال له والالتزام به.

فإذا كان **إبراهيم** عليه السلام يحتاج إلى الاطمئنان وإلى ازدياد الإيمان والارتقاء في سلم الإحسان، فكيف بنا نحن؟ ألا نحتاج إلى تعزيز الإيمان والاطمئنان لفكرة الإسلام والدعوة والجهاد في سبيل الله؟ بلى.. إننا بحاجة ماسة وفي كل لحظة إلى الاطمئنان ولا يكون ذلك إلا بالعلم والطلب من الله تعالى والاستعانة به على ذلك الأمر العظيم.

ويظن بعض الجهال وقصيري النظر والفكر أن سؤال **إبراهيم** عليه السلام لله تعالى أن يريه كيف يُحيي الموتى، يظنون أن **إبراهيم** عليه السلام كان يشك في قدرة الله تعالى ووجوده، فكيف يكون ذلك؟ ألم يقرؤوا هذا الاعتراف بربوبيته عز شأنه ﴿رَبِّ أَرِنِي﴾ فهو اعتراف منه أن الله ربه، وكذلك هو مؤمن بأنه يُحيي الموتى ﴿أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾، ولكن أريد أن أرى الكيفية والطريقة.

ويستجيب الله تعالى **لإبراهيم** عليه السلام؛ ولكن بالطريقة التي يُريدها الله جل وعلا، فقد كلف **إبراهيم** عليه السلام أن يأخذ أربعة من الطيور ويقطعها

ويُجزئها ويجعل كل جزء على جبل، وهو الذي يدعوهن فهو الذي قطّع، وهو الذي أحضر الطيور، وهو الذي دعا، وهو الذي شاهد هذا التجميع وهذه المعجزة، **فإبراهيم** عليه السلام هو الذي أجرى التجربة بنفسه، فالله تعالى أعطاه من إرادته وقدرته وحكمته، وأمده بالأسباب، وقال له: أنت يا **إبراهيم** قم بالتجربة بنفسك.

وهذه الوسيلة من أعظم الوسائل لتحقيق الهدف وتعزيز الإيمان والثقة بالنفس، والفكرة التي تنطلق منها، (فنحن في حياتنا إذا رأينا مثلاً طفلاً صغيراً يحمل حملاً ثقيلاً فإننا نساعده ونحمل عنه ونوصله حيث يُريد، ولكن يبقى الطفل على ضعفه وقلة حيلته)، بينما الله تعالى يريد من الإنسان أن يصنع شيئاً أو يفعل شيئاً يُقويه ويوفقه ويجعله صاحب إرادة وعزيمة وإصرار وفعل وتأثير.

فمن خلال هذه القصة وهذه التجربة نقتدي ونُقلد ونتخلق بالقرآن الكريم، فإذا أردنا أن نصنع خطيباً نُدربه ونعلمه ونُرشده ونُعطيه الخطوط العامة، وهو يفعل ويقوم ويخطب بالناس ويقتحم المنابر، ومن خلال التجربة تُكتسب الخبرة ويتقدم ويتطور ويتعلم ويُبدع... هكذا علينا أن نفعل مع كل من يريد أن يصل إلى تعزيز الإيمان وتحقيق الهدف والوصول إلى الطموح.

علينا أن نجعل الناس يسيروا ولا نقمع طموحاتهم، لندع الناس يُجربوا ويخوضوا غمار الحياة على أسس من القواعد والإرشاد والأفكار السليمة، فاقتحام غمار الحياة وخوض المعترك الاجتماعي الشامل يُعزز الإيمان

وينتج لنا قيادات جديدة في كافة المجالات لأن الإسلام تفاعل بين الفكر والواقع، فالإيمان ليس أمنية ولا تمني وإنما تفاعُل بين ما وقر في القلب وصدقه العمل، فمن لديه طموح وعنده هدف ويملك العزيمة علينا أن نقول له (فَخُذْ!!) كما قال الله تعالى **لإبراهيم** عليه السلام ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ﴾، فمن أراد الجهاد لنقل له: خذ البندقية، ومن أراد أن يكون طبيباً لنقل له: خذ المبضع، ومن أراد أن يكون عالماً لنقل له: خذ الكتاب بقوة، ومن أراد أن يُصلح الأرض لنقل له: خذ المعول، وهكذا.. فهذه الصناعة الصحيحة لمن أراد أن يُحقق أهدافه، ولندرك تماماً أن هذه الطريقة فيها الحكمة لأن الإنسان يخوض بنفسه التجربة فيتعثر وينهض، يرسب وينجح، وهكذا حتى يصل، ففيها حكمة لأنها متعبة وفيها تضحية واجتهاد، وفيها عزة لأن الإنسان يخوض التجربة بنفسه ولا يعتمد على أحد من الناس أبداً، ولذلك كان تذييل الآية ﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. فبالعمل يتعزز الإيمان ويزداد الفكر تألقاً وإشعاعاً ويتوسع انتشاراً.

[7] خُلق إسلام الأمر لله تعالى من خلال ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾:

كان **إبراهيم** عليه السلام شديد الالتزام بأوامر الله تعالى، فلم يتردد ولم يتلعثم ولم يتراجع، واثق الخطا يسير مطمئن النفس هادئ البال، لا يتوانى لحظة عن تطبيق الأمر الإلهي؛ وإن بدا في ظاهره مصيبة أو ابتلاء أو ضرر، ومن خلال تتبع الآيات في دعوته عليه السلام نرى كيف استجاب لله

تعالى في تحطيم الأصنام، وفي إعلان البراءة من أبيه لأنه تبين له أن عدو لله، وكذلك إعلان البراءة من قومه الكافرين الذين ناصبوه العداء..

نرى إقدامه عليه السلام وهو يرفع القواعد من البيت هو وابنه إسماعيل عليهم السلام وهو يفي بكل العهود والأيمان، وكذلك وهو يتحدى النمرود ويُثبت له بالعقل أنه على ضلال عندما قال له: فأتِ بالشمس من المغرب فإن الله يأتي بها من المشرق، فبُهت الذي كفر، كان يتحرك **إبراهيم** عليه السلام بكل ثقة، وجذرية وهو يدعو لله ويُجاهد في سبيله، ففي كل الموقع وكل اللحظات كان يُبلغ رسالته بطريقة بينة واضحة دون مواربة أو مُداهنة أو مهادنة، رغم أنه كان عليه السلام شفوق رحيم، عطوف حليم لكنه كان يعيش التمايز والجذرية والوضوح، فلا يسلك طريق ووسيلة مشوشة وغير واضحة.

نحن بحاجة في هذا الزمن الذي كثر فيه الخبث والدجل وعدم الوضوح والاضطراب والاختلاف.. بحاجة إلى جذرية **إبراهيم** عليه السلام وتميزه ووضوحه، وإلا سنظل نعيش حالة الاهتزاز والتجاذب لأطراف عديدة ومتنوعة، فهل هناك التزام كالتزام **إبراهيم** عليه السلام عندما أُمر بذبح ابنه؟ ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: 102]، فلم يقل إن هذه رؤيا وحُلم وأضغاث أحلام، فلماذا أُطبق ذلك؟؟ لم يقل هذا، إنما فهم أن تلك الرؤيا وحي وأمر إلهي، فلبى واستجاب وقال لابنه بطريقة شفوقة رحيمة: فانظر ماذا ترى؟

وكأنه خيّره، كذلك الابن إسماعيل عليه السلام فهم ذلك أن هذا أمر من الله، فقال: افعل يا أبتِ ما تُؤمر..

إنه الالتزام الحديدي والاستسلام لأمر الله، من يستوعب أن أباً يذبح ابنه، فلذة كبده؟ إلا إنساناً عظيماً **كإبراهيم** عليه السلام، لذلك وصف الله تعالى هذا الحدث: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاء الْمُبِينُ﴾ [الصافات: 106]، إن الاستجابة لأمر الله والاستسلام له في حدث كهذا يدل على أن **إبراهيم** عليه السلام انحاز لأمر الله تعالى مطبقاً ومليباً هكذا علينا أن نحتذي ونقتدي بخُلق **إبراهيم** عليه السلام في قوة الالتزام، وشدة السير، وعدم الالتفات إلى أي شيء مهما كان، خوفاً من الانجراف لتيار الفساد والضلال.

إن السير ضمن رؤية واضحة والالتزام بالأسس والأخلاق والتحرك على أساس العقيدة السليمة (التوحيد) يقتضي أن نسبح ضد التيار كما قال الدكتور **(فتحي الشقاقي)** لأن الأنبياء سبحوا ضد التيار فقد كان الأنبياء أقلة وأمتهم بمجملها في غي وضلال، فالجذرية في الطرح والخطاب والتحرك إن لم تحقق الأهداف فإنها تحافظ على المنظومة القيمية التي مثّلت ركيزة التدافع في المعركة بين الحق والباطل، والتاريخ يُعلمنا أن الانتصار لا يُحققه إلا الجذريون.. إلا الثابتون الذين لا يُداهنون ولا يُهادنون.. وكذلك القرآن يُرشد المؤمنين بألا يحزنوا ولا يهنوا لأنهم هم الأعلون.. لأنهم مؤمنون ثابتون متجذرون بالفكر والإيمان، فالجذرية انتصار، والميوعة والاضطراب هزيمة، فلابد لنا أن نكون أصحاب مبدأ

واضح الراية والشعار والخطاب والوسيلة والهدف والجهة ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: 79].

فربما تنتهي حركة ما، ولكن تبقى بصماتها المؤثرة في تاريخ والمجتمع، وربما يذهب عالِم أو قائد، ويبقى أثره الذي يتناسب طردياً مع فعالية أفكاره وجذريتها، فالحق جذري ويجب التمسك به، وهل هناك حق أحق من كلام الله ودين الله وأنبياء الله وأوامر الله؟

فالحق أحقّ أن يُتبع، لأن الحق يمكث في الأرض، وإن حوصر في زمن معين، وإن انتقش الباطل وتضخم. ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾ [الرعد: 17].

المبحث الثامن
ثمار الخطاب الإنساني والأخلاق العامة

قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 97]، فنتيجة العمل الصالح المرشّد في الدنيا الحياة الطيبة تنعكس على كل مجالات الحياة، وكذلك الفوز بالجزاء الأحسن يوم القيامة، فإذا كان المؤمن العادي له بُشرى من الله تعالى في الدنيا والآخرة، فما بالنا **بإبراهيم** عليه السلام المؤسس للخطاب الإسلامي العام، والمتحرك والمجاهد بكل الوسائل لتحقيق الإسلام في واقع الحياة، فحتمية قرآنية أن تكون النتيجة هي الاصطفاء والاجتباء، والانتصار والانتشار.. كذلك يظل **إبراهيم** عليه السلام ذلك النموذج والقدوة الرائعة التي جسدت تلك المعاني العظيمة المنبثقة من عقيدة التوحيد.

فقد كانت الثمار التربوية والفكرية والدعوية تتضح في أمة الإسلام، بل في العالم أجمع، **ومن هذه الثمار على سبيل المثال لا الحصر:**

[1] دعوة **إبراهيم** عليه السلام انتشرت في العالم لأنها كانت عالمية توافق الفطرة، وتنسجم مع العقل الصحيح، وجاءت لتحرر البشر من عقم الأفكار والاستعباد، فرسالة **إبراهيم** عليه السلام ما هي إلا رسالة تحرر جاءت لتحرر

الناس وتُعتقهم من كل ما يُكبّل أرواحهم وعقولهم وأجسادهم، وكذلك بعد هذا العمل الشاق، وهذه الدعوة المستمرة.

[2] اتخذ الله **إبراهيم** عليه السلام خليلاً، من الخلة والقربة والرفعة، لم يكن لنبي من الأنبياء هذه الميزة، وهذا يدل على تميز **إبراهيم** عليه السلام من خلال صفاته وحركته الدعوية والجهادية في العالمين، وتعني "الخلة" كذلك المعية الدائمة من الله تعالى لكل من يسير بهذا النهج ويثبت عليه، ويسير وفق الآية ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: 62].

[3] رعاية الله تعالى **لإبراهيم** عليه السلام ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: 69]، فالقوانين الكونية والسنن تغيرت كرامة **لإبراهيم** عليه السلام، فالنار خاصيتها الإحراق، ولكن هنا تعطل الخاصية بأمر الله؛ لأنه هو الذي خلق هذا القانون والقادر فقط على اختراقه وتغييره لحكمة ما، تكون أحياناً لردع الكفرين أو إقامة الحجة عليهم، وهكذا تظل العقيدة والسير نحو الله بقلب سليم وعقل مفتوح وروحٍ منشرحة أعظم ما في الوجود. إذ كيف يُغير الله القانون والسنّة الكونية كي يُنقذ **إبراهيم** عليه السلام؟ إننا ونحن نقرأ هذه المعجزة في كتاب الله تعالى نستشعرها تماماً، وبثقة ويقين ونحن نخوض معركتنا الشاملة مع أعداء الله، نستشعر معية الله وتسخير الكون للمؤمنين الذين يُدافعون عن الحقيقة والحق.

[4] المنة والفضل من الله ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: 107]، تلك أيضاً من الثمار العظيمة التي استجاب الله تعالى فيها **لإبراهيم** عليه السلام،

فعندما طبّق **إبراهيم** عليه السلام الأمر الإلهي في ذبح ابنه؛ فداه الله تعالى بكبش بدلاً من ابنه، وتلك مِنَّة وفضل من الله وهو يمتحن أولياءه الصالحين.. وهم يُعذبون ويُلاحقون ويُطاردون ويسجنون ويحرمون من أبسط الحقوق... في أمس اللحظات وأشدها عُنفاً على الدعاة، تتجلى رحمة الله تبارك تعالى على هذا العبد الصالح، تتجلى الرحمة والفضل بصور شتى، إما بالثبات والصمود والرسوخ والاستمرار على الحق، أو بالرزق المادي كالمال أو الولد أو الملك كي تكون وسيلة مساعدة له في الاستمرار بدعوته وجهاده بروح قوية.

وهذا الاستمرار أدى إلى انتصار المبدأ والنور على الضلال والظلمات، وقد اعترف أعداؤه بضلالهم وانحرافهم ﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنبياء: 64].

وظلت الثمار تتوالى على أمة الإسلام بل على البشرية جمعاء، وأصلها تلك الجذور التي أنبتت شجرة **إبراهيم** عليه السلام ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: 24-25].

فهرس

الموضـــــوع	الصفحة
مقدمـــة.	7
توطئـــة.	11
المبحث الأول: صفات الأنبياء المشتركة.	15
المبحث الثاني: تنوع الجوانب الدعوية للأنبياء.	19
المبحث الثالث: لكل نبي قضية مركزية.	21
المبحث الرابع: كل حركة إسلامية لها قضية مركزية.	25
المبحث الخامس: إبراهيم عليه السلام وشمولية الدعوة.	27
المبحث السادس: إبراهيم عليه السلام والمصطلحات العامة.	31
المبحث السابع: أخلاق إبراهيم عليه السلام.	73
المبحث الثامن: ثمار الخطاب الإنساني والأخلاق العامة.	91

» تعريفٌ بالكاتبِ الأسيرِ

- الاسم: جمعة عبد الله خليل التّاية.
- مكان الإقامة: رام الله-كفر نعمة.
- الحالة الاجتماعية: متزوج.
- عدد الأبناء: له 2 من الأبناء.
- تاريخ الميلاد: 1970/12/13.
- مرات الاعتقال: أربع مرات.
- تاريخ الاعتقال الأخير: 2001/10/28.
- الحكم: ثمانية عشر عاماً، وستة شهور.

الشهادات التعليمية:

- بكالوريوس في الشريعة الإسلامية من جامعة القدس المفتوحة.
- طالب ماجستير في الديمقراطية والعلوم السياسية من الجامعة العبرية.

له مجموعة من المؤلفات أهمها:

- التربية من خلال المواجهة.
- الجهاد مشروع و منهج ورسالة.
- خطب منبرية.

» في هذا الكتابِ

لقد أراد الأسير في كتابه أن يساهم ولو بشكل بسيط في ترسيخ بعض الأفكار والقيم الإسلامية التي جسدها سيدنا إبراهيم -عليه السلام-، وهو لم يدعي أنه شمل وأحاط كل الجوانب، لأن رسالة إبراهيم -عليه السلام- شاملة شمول الرسالة المحمدية، وواسعة وسع الأرض والعالم، لكنه ربما أضاء بعض الومضات الجميلة وبعض اللفتات التي تؤسس لفهم صحيح لشخصية إبراهيم -عليه السلام- التي هي (أمّة) كما وصفها القرآن الكريم. فالذي حدثنا عن إبراهيم -عليه السلام- هو ((الله)) تبارك وتعالى، والذي وصف إبراهيم بأنه "أمّة" وأنه "إمام" وأنه "قدوة"، وأنه "أواهٌ حليم" وأنه "صديقاً نبياً" أيضاً هو ((الله)).. وهذا يعني أننا يجب أن نقتدي به، وأن تتمثل فينا شخصيته وقيمه وأخلاقه.

ونحن في هذا العصر الذي نسير فيه من الجماعة إلى الأنا ومن الأمة إلى الحزب والفردية، ومن الدين إلى الرأي السياسي أو الفقهي، ومن العام إلى الخاص، سنظل بحاجة دائمة للإقتداء بشخصية سيدنا إبراهيم -عليه السلام- بدعوته وطروحاته وتحدياته وصموده وأخلاقه وجهاده وشهادته على الناس، لنخرج من ذواتنا ويُمثل كل منا أمّة في عطائه وطاقته ومبدأيته وجهاده، وبذلك نكسب قلوب الناس، فالناس تقاد وتحب من يُحسن إليها ويخدمها. لذلك يجب أن لا يقبل الإنسان أن يكون عادياً على الهامش لا قيمة له، يجب أن يطمح الإنسان لأن يكون إبراهيمياً، أن يكون أول المسلمين وأول المؤمنين، أن يكون مميزاً واستثنائياً، أن يكون إماماً، بل أمّة في شخص. فربما إذا ترسخت هذه الفكرة في عقولنا نستطيع السير بخطوات واثقة دون يأس ودون قنوط وتراجع، فالنهضة والتغيير لا يُمكن أن تتحقق لنا إلا إذا بدأ كل منا يعمل ويطمح أن يكون أمّة.

سجن عسقلان